كتاب الجهاد

٢٣٤ـ باب فضل الجهاد

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد.

الجهاد مصدر جاهد يجاهد، ومعناه بذل الجهد في مكافحة العدو.

والجهاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جهاد النفس.

والثاني: جهاد المنافقين.

والثالث: جهاد الكفار المحاربين.

فأما الأول فعليه ينبني الجهاد الثاني والجهاد الثالث.

ومعنى جهاد النفس: حمل النفس على القيام بالواجبات، وترك المحرمات؛ لأن النفس تحتاج إلى معاناة وإلى مجاهدة، إذ أن لكل إنسان نفسين نفسًا أمارة بالسوء، ونفسًا مطمئنة تأمر بالخير، فهاتان النفسان دائمًا في صراع، النفس الأمارة بالسوء تريد منه أن يفعل السوء فهي أمارة، وأمارة صيغة مبالغة، أو هي بمعنى الكثرة، أو أن من شأنها وطبيعتها الأمر بالسوء، يعني النسبة، كما تقول: نجار، وصناع، وما أشبه ذلك.

فالنفسان دائمًا في صراع، فيجاهد الإنسان بنفسه المطمئنة نفسه الأمارة بالسوء، وجرب نفسك، عندما تهم بفعل الخير، تجد هناك جاذبًا آخر يجذبك

إلى الشر ويثبطك عن الخير، ويقول إن فعلت كذا، صار كذا وكذا من الأمور المثبطة عن الخير فأنت دائمًا في جهاد، وأعظم ما يجاهد عليه الإنسان نفسه، الإخلاص لله عزَّ وجلَّ في العبادات، وفي المعاملات، وفي طلب العلم، وفي كل الأحوال.

قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص؛ لأن الإنسان قد يميل قلبه إلى مراءاة الناس أو يميل قلبه إلى أن يريد عرضًا من الدنيا بعمل الآخرة أو ما أشبه ذلك.

فالإخلاص شديد عظيم يحتاج إلى معاناة عظيمة شديدة. والكلمة الواحدة مع الإخلاص تنجي صاحبها من النار وتدخله الجنة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه[1]»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[2]».

كلمة واحدة مع الإخلاص توصل صاحبها إلى هذه الدرجة العظيمة، النجاة من النار، ودخول الجنة. ولهذا عرف السلف رحمهم الله قدر الإخلاص، وجاهدوا أنفسهم عليه، وحرصوا على أن تكون أعمالهم كلها خالصة لله عزَّ وجلَّ، وبالإخلاص لله لابد أن يتبع الإنسان رسول الله ﷺ؛ لأن المخلص في طلب الوصول إلى الله لابد أن يسلك الطريق الموصل إليه،

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم(٩٧).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٣٣)، وأبوداود: كتاب الجنائز، باب في التلقين، رقم(٢٧٠٩).

ولا طريق يوصل إلى الله إلا طريق محمد ﷺ، فهي مستلزمة للمتابعة، ولهذا يُقال: إخلاص لله تعالى في القصد، وإخلاص للرسول ﷺ في المتابعة.

فالحاصل: أن جهاد النفس ينبني عليه جهاد المنافقين، وجهاد الكفار المحاربين، بل كل الأعمال تنبني على جهاد النفس، وهنا نذكركم بحديث يُروى عن النبي ﷺ أنه قال حين رجع من تبوك: «**رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر**[1]» يعني: جهاد النفس، وهذا الحديث لا أصل له، ولا يصح عن النبي ﷺ، لكنه متداول بين الناس إلا أنه من الأحاديث التي لا أصل لها؛ لأنه أحيانًا يشتهر على ألسن الناس أحاديث ليس لها إسناد، وليس لها صحة كقول بعضهم: «**حب الوطن من الإيمان**» هذا غير صحيح، بل حب الديار الإسلامية من الإيمان، أما الوطن فقد يرتحل الإنسان ويهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ولا يكون حبها من الإيمان، بل دار الكفر مبغوضة هي وأهلها، أما الديار الإسلامية فحبها من الإيمان، سواء كانت وطنك أم لا.

هذا النوع الأول من الجهاد، وهو: جهاد النفس، الذي ينبني عليه جهاد المنافقين، وجهاد المحاربين.

الثاني: جهاد المنافقين: وجهاد المنافقين من أصعب ما يكون أيضًا، لأن المنافق عدو خفي، بل هو العدو حقيقة، وانظر إلى قول الله تبارك وتعالى:

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٥٢٣)، كشف الخفاء (١/ ٥١١) رقم(١٣٦٢)، والفتح السماوي (٢/ ٥١٣)، رقم(٣٩٣)، تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٣٩٥)، رقم(٨٢٥).

﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]. كلمة (هم العدو) هذه جملة خبرية، طرفا إسنادها معرفة فتفيد الحصر، كأنه قال: لا عدو لك إلا المنافق، المنافق والعياذ بالله هو بيننا، يصلي ويتصدق ويصوم ويدعي أنه منا، لكنه جاسوس علينا ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]. ربما يأتي إلى أحد طلبة العلم، ويصاحبه ويظهر له المحبة والمودة، فإذا قال له أصحابه إذا ذهب إليهم، لماذا أنت ملازمه؟! يقول: أسخر به، وهذا كما أنه موجود في عهد الرسول ﷺ موجود في عهدنا الآن، فهذا جهاد المنافق بماذا يكون؟!

المنافق لا يمكن أن تسل عليه السيف، لماذا؟ لأنه يزعم أنه مؤمن، ولهذا لما استؤذن النبي ﷺ في قتل المنافقين أبى أن يقتلهم، وقال: «**لا يتحدث الناس أن محمَّدًا يقتل أصحابه**[١]» فهم أصحاب مسلمون في الظاهر، مسلمون، فلا يمكن أن نسل عليهم السيف، لكن بماذا أجاهده؟!

جهاده بالعلم والمناظرة، وتحذيره من أن يبقى على النفاق، ولا تيأس ولا تقل: هذا منافق، فلقد تاب أناس من المنافقين في عهد الرسول ﷺ. كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ ﴾ من هم؟ المنافقون ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، رقم(٤٥٢٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، رقم(٤٦٨٢).

[التوبة: ٦٥، ٦٦]. ومتى يكون العفو؟ بالإيمان، بالتوبة من النفاق، فالله سبحانه وتعالى قد يمنُّ على المنافق ويتوب، فلا تيأس، جاهده بالعلم والبيان والنصح، والإرشاد، وحذره من العقوبة، هذا جهاد المنافق.

أما جهاد الكافر المحارب: فهو الذي أراده المؤلف في هذا الباب، وساق فيه الآيات المتعددة، والأحاديث الكثيرة، ويأتي إن شاء الله تعالى بيانه والله أعلم.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

الشـــرح

سبق الكلام على أن الجهاد ثلاثة أنواع، وتكلمنا بما يسر الله تعالى على ذلك، ثم ساق المؤلف - رحمه الله - الآيات الواردة في هذا، فقال: قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

كافة: يعني عامة، كل الكفار يجب أن نقاتلهم وأن نجاهدهم إلى أن يقولوا: «**لا إله إلا الله**»، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان، ويحجوا البيت، أو يسلموا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن سلموا الجزية عن يد وهم صاغرون، كففنا عن قتالهم، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ

صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

فيجب على المسلمين أن يقاتلوا الكفار، كل كافر من أي بلد كان، من الروس أو الأمريكان أو الفرنسيين أو الفلبينيين وغيرهم، يجب عليهم أن يقاتلوا كل كافر حتى يسلم أو يعطي الجزية عن يد.

ولكن إذا قال قائل: كيف يكون ذلك اليوم في هذا العصر؟ قلنا إن الواجبات لها شروط، منها: الاستطاعة، لقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَـٰدِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

ومعلوم أن المسلمين اليوم مع الأسف الشديد يقاتل بعضهم بعضًا، وليس عندهم تفكير في أن يقاتلوا لإعلاء كلمة الله، هذا ظني فيهم، والواقع شاهد بذلك بأن المسلمين لا يريدون هذا على الإطلاق، ولا سيما الولاة منهم، ويدلك على هذا ما يفعل اليوم بإخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك من ذبح الرجال، كأنما تذبح الخراف، وانتهاك الأعراض، وابتزاز الأموال، وإذلال الإسلام وهذا أعظم، يعني لا يهمني أن يقتل ألف شخص من المسلمين بقدر ما يُقال إن المسلمين أُذِلوا لإسلامهم.

فالقتال اليوم في البوسنة والهرسك والشيشان وغيرها كلها لإذلال المسلمين، والأمة الإسلامية مع الأسف الآن متفرقة، مشتتة، لم يقم أحد منها يثأر لدين الله عزَّ وجلَّ، فكيف يمكن أن يقاتلوا الكفار؟! في الوقت الحاضر لا يمكن وذلك من أجل الذل الذي ضربه الله على قلوب وُلاة الأمور في البلاد الإسلامية، وعدم الالتفات للجهاد في سبيل الله.

بل ربما يمد بعضهم يد الذل لعدوه الذي كان بالأمس يقاتله، نمد إليه اليوم يد الذل والاستسلام، فكيف نطلب من المسلمين أن يقاتلوا الكفار؟ نعم الله جل وعلا يقول قاتلوهم ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦]. ويقول: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]. ولكن مع الأسف ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ كل هذا ضاع، والإنسان ينعصر قلبه دمًا، وتتجرح كبده إذا ما رأى ما يفعل بالمسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والذين هم في أشد الشوق إلى معرفة الدين الإسلامي، والعمل به كما نسمع من إخواننا الذين يأتون من البلاد التي كانت مستعمرة من الشيوعيين. يحدثوننا بفرحهم الشديد إذا وجدوا من يعلمهم دين الإسلام، ويقبلون على ذلك رجالاً ونساءً، ومع هذا نتركهم يذبحون، فقبل أشهر مائتا ألف مسلم قُتّلوا وألقيت جثثهم في الماء، مائتا ألف، أي قرية كاملة أو أكثر من قرية، بل مدينة. والمسلمون ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ لم يرفعوا لذلك رأسًا، وإن شئت قلت: ولم يروا بذلك بأسًا إلا أن يشاء الله.

فنحن الآن ـ مع الأسف ـ في ذل ليس بعده ذل، وسبب ذلك هو أن الله عزَّ وجلَّ ابتلى كثيرًا من المسلمين بالإعراض التام عن دينهم، لا يريدون إلا عرض الدنيا، والترف، ولهذا تجدهم يتحدثون عن رغباتهم ولا يبالون بالدين إلا من يشاء الله.

أما كلام الرب عزَّ وجلَّ فاسمعوا إليه ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً

كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦]. كما يقاتلونكم: فيه التحريض، يعني الإنسان بفطرته - دعنا من إسلامه -، قاتلوهم كما يقاتلونكم كافة يعني: اثأروا لأنفسكم على الأقل، بقطع النظر عن هذا الدين أو الإسلام، ولكن مع الأسف الأمر بالعكس.

بل إننا ربما الآن مع الأسف المواطنون منا يشجعون أعداء الإسلام على قتال المسلمين، انظر إلى العمالة التي ملئت بها الدنيا في بلادنا، يمكن أن يكون ثمانون بالمائة منهم كفارًا، والباقون مسلمون، مع توافر المسلمين في البلاد الإسلامية الفقيرة التي يغزوها النصارى من كل وجه، فتجد المواطن لا يهمه إلا أن يُنهى عملُه، ويقول له الشيطان إن الكافر أحسنُ في العمل من المسلم، فالمسلم يقول: أذهب أصلي، أصوم رمضان، أحج، أعتمر، أما الكافر فدائمًا يشتغل.. فيزين له الشيطان سوء عمله، ليترك إخوانه المسلمين ويأتي بهؤلاء الكفرة من أجل حطام الدنيا. فمن أين لنا التقدم؟ ومن أين لنا أن نقاتل في سبيل الله، والأمر هكذا؟!

والإنسان يقرأ هذه الآيات ويقول سبحان الله، هذه أنزلت على غيرنا أو أنزلت علينا؟ يعني: كأنها لا تحرك المشاعر، وكأنها ليست بكلام رب العالمين، ولا يهتم المسلمون بهذا، كل يوم يقرؤونها ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنًا. قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

كُتب: من الذي كتبه؟ الله جل وعلا، وكتب بمعنى فرض ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ [البقرة: ٢١٦] كلها مفروضة علينا.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ : تكرهونه، لكنه خير، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، لو كرهتموه فهو خير، ما هو الخير؟! ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]. هذا خيرٌ عظيم، وكما سيأتي إن شاء الله في الآية الثالثة ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]، أنت أيها المسلم إذا قاتلت وجرحت أو استشهدت، أتظن أن عدوك سالم؟ ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ ﴾ [النساء: ١٠٤]، ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ ﴾ [النساء: ١٠٤]، هذا الجرح الذي جرحته، كما جرح عدوك وكلا كما يألم، ولكن ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾ [النساء: ١٠٤].

لأن هؤلاء الكفار ليس لهم إلا النار، أما أنت فترجو من الله منازل الشهداء، وترجون من الله ما لا يرجون، ولما قام أبو سفيان قبل أن يسلم في يوم أحد يقول: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. يعني يفتخر ويقول أنتم في بدر غلبتمونا، والآن غلبناكم، فماذا قال المسلمون؟ قالوا: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فرق عظيم، فالقتال نكرهه ويكرهه العدو، لكن هناك فرق عظيم بين ما إذا قتل الواحد منا أو منهم، أو جرح

الواحد منا أو منهم، فنسأل الله تعالى أن يقيم علم الجهاد، جهاد الأنفس وجهاد الأعداء، وأن يهدي ولاة أمور المسلمين لإقامة دين الله ظاهرًا وباطنًا وأن يعيذهم من الشرور، وأن يعيذهم من البطانة السيئة التي تضرهم ولا تنفعهم، إنه على كل شيء قدير.

* * *

وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [التوبة: ٤١]. وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

الشـــرح

ساق المؤلف الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - آيات من الجهاد منها ما سبق، ومنها ما يلحق إن شاء الله، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقد سبق أنه واجب على المسلمين أن يقاتلوا أعداء الله، وأعداءهم من اليهود والنصارى والمشركين والشيوعيين وغيرهم، كل من ليس بمسلم

فالواجب على المسلمين أن يقاتلوه حتى تكون كلمة الله هي العليا، وذلك إما بإسلام هؤلاء، وإما بأن يبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، نحن لا نُكرههم على الإسلام، لا نقول لابد أن تسلموا، ولكن نقول: لابد أن يكون الإسلام هو الظاهر، فإما أن تسلموا وحيّاكم الله، وإما أن تبقوا على دينكم ولكن أعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبوا لا الإسلام، ولا الجزية، وجب علينا قتالهم، ولكن يجب قبل قتالهم أن نعد ما استطعنا من قوة: لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والقوة نوعان: قوة معنوية وقوة مادية حسية.

القوة المعنوية: هي الإيمان، الإيمان بالله والعمل الصالح، قبل أن نبدأ بجهاد غيرنا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ـ١١]. فالإيمان قبل الجهاد.

ثم بعد ذلك الإعداد بالقوة المادية، ولكن مع الأسف أن المسلمين لما كان بأسهم بينهم من أزمنة طويلة نسوا أن يعدوا هذا وهذا، لا إيمان قوي، ولا مادة، لقد سبقنا الكفار بالقوة المادية في الأسلحة وغيرها، وتأخرنا عنهم في هذه القوة كما أننا تأخرنا تأخرًا كبيرًا عن إيماننا الذي يجب علينا وصار بأسنا بيننا. نسأل الله السلامة والعافية.

فالقتال واجب ولكنه كغيره من الواجبات لابد من القدرة، والأمة الإسلامية اليوم عاجزة لا شك، عاجزة ليس عندها قوة معنوية، ولا قوة مادية، إذًا يسقط الوجوب لعدم القدرة عليه فاتقوا الله ما استطعتم.

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ أي القتال كره لكم، ولكن الله تعالى قال: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أول الآية خاص، بماذا؟ بالقتال، وآخر الآية عام﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا ﴾ ، ولم يقل وعسى أن تكرهوا القتال ولكن قال: ﴿شَيئًا﴾ ، أي شيء يكون، ربما يكره الإنسان شيئًا يقع ويكون الخير فيه وربما يحب شيئًا أن يقع ويكون الشر فيه، وكم من شيء وقع وكرهتَه وتمنيت أنه لم يحصل، ثم في النهاية تجد أن الخير فيه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾ .

وهذه الآية يشبهها قوله تبارك وتعالى في سورة النساء﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]. قال: فعسى أن تكرهوا شيئًا، ولم يقل: وعسى أن تكرهوهن، ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

فهذا عامٌ في كل شيء قد يُجْري الله عزَّ وجلَّ بقضائه وقدره وحكمته شيئًا تكرهه ثم في النهاية يكون الخير فيه، والعكس ربما يجري الله عزَّ وجلَّ شيئًا تظنه خيرًا ولكنه شر، عاقبته شر؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله تعالى حسن العاقبة دائمًا.

ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، نعم؛ الله يعلم ونحن لا نعلم؛ لأن علم الله تعالى واسع، بكل شيء عليم، علم الله علم واسع للمستقبل، يعلم الغيب ونحن لا نعلم، يعلم كل شيء ونحن لا نعلم،

يعلم ما توسوس به النفوس قبل أن يبدو وقبل أن يظهر ونحن لا نعلم، وهنا نسأل عن شيء سهل، شيء غير بعيد، هل يعرف البشر عن أرواحهم شيئًا؟ الروح التي بها الحياة، هل يعرفون عنها شيئًا؟! الجواب: لا ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. الروح التي بين جنبيك لا تعرفها ولا تدري عنها، وجملة ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذه الجملة، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كأن فيها التوبيخ، كأنه يقول: وما بقي عليكم من العلم إلا أن تعلموا هذه الروح، فما أكثر العلوم التي فاتتكم؟! والحاصل أن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. انفروا إلى أي شيء؟ إلى الجهاد ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يعني انفروا حال ما يكون النفر خفيفًا عليكم أو ثقيلاً عليكم ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: إن كنتم من ذوي العلم، فاعلموا أن ذلك خير لكم.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة: ١١١].

انظروا لهذه الصفقة، صفقة بيع، تامة الشروط والأركان، والوثائق:

من المشتري؟ هو الله سبحانه وتعالى.

والبائع؟ المؤمنون.

والعوض من المؤمنين؟ الأنفس والأموال.

والعوض من الله؟ الجنة.

والوثيقة؟ وعد من الله جل وعلا، فليست أوراق تمزق وتُرمى، بل في التوراة، والإنجيل، والقرآن، أوثق الوثائق هذه، وثيقة مكتوبة في التوراة والإنجيل والقرآن، ليس هناك شيء أوثق منها، وذكر التوراة والإنجيل والقرآن لأنها أوثق الكتب المنزلة على الرسل، القرآن أشرفها ثم التوراة ثم الإنجيل، هذه صفقة لا يمكن أن يكون لها نظير أبدًا، كل الشروط تامة، وصفقة كبيرة عظيمة، النفس والمال هما العوض من الإنسان، **والمعوض** هو المليك وهو الله عزَّ وجلَّ، وهو الجنة، التي قال عنها الرسول ﷺ: «**لموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها**[1]» موضع السوط: يعني حوالي (متر أو نحوه) خير من الدنيا وما فيها. أي دنيا؟ هل هي دنياك أنت؟ لا. فقد تكون دنياك مملوءة بالتنغيص والتنفير، والعمر قصير، ولكن خير من الدنيا، منذ خلقت إلى يوم القيامة، بما فيها من كل سرور ونعيم، موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

أيهما أغلى، الأنفس والأموال، أم الجنة؟! الجنة بلا شك، إذًا البائع رابح؛ لأنه باع النفس والمال الذي لابد من فنائه بنعيم لا يزول، ومن الذي عاهد على هذاالبيع؟ الله عز وجل، ومن أوفى بعهده من الله؟ «مَنْ» هنا استفهام بمعنى النفي، يعني لا أحد أصدق وأوفى بعهده من الله، وصدق الله عزَّ وجلَّ

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠١١)، ومسلم: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، رقم(١٥٧٢).

لا أحد أو في بعهده من الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

ثم قال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ يعني لتستبشر نفوسكم بذلك، وليبشر بعضكم بعضًا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] يستبشرون بهذا البيع، بيع عظيم، الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم، هذه الجملة فيها ضمير الفصل، وذلك هو الفوز العظيم، وضمير الفصل كما يقول العلماء يُستفاد منه ثلاثة فوائد:

١ ـ الاختصاص.

٢ ـ التوكيد.

٣ ـ التمييز بين الخبر والصفة.

هذه ثلاث فوائد، يعني معنى ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز مثله، وصدق الله ورسوله، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء، ممن باعوا أنفسهم لله عزَّ وجلَّ، والله الموفق.

* * *

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

الشـرح

يعني: لا يستوي القاعدون والمجاهدون، ونفي الاستواء ظاهر؛ لأن المجاهد قد بذل نفسه وماله لله عزَّ وجلَّ، والقاعد خائف إلا من استثنى الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ غير الذين يتضررون إذا ذهبوا إلى الجهاد وهم ثلاثة أصناف ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١]، وكذلك الذين لا يجدون ما ينفقون أو كانوا ضعفاء في أبدانهم لقول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١].

والثالث: من قعدوا للتفقه في الدين، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهؤلاء ثلاثة أصناف: الأول: أولوا الضرر، والضعفاء.

الثاني: الذين لا يجدون مالاً.

الثالث: من قعدوا ليتفقهوا في الدين، فهؤلاء معذورون إما لوجود مصلحة في بقائهم أعلى من مصلحة الجهاد، وهم كالذين قعدوا للتفقه في الدين، وإما لعذر لا يستطيعون معه أن يذهبوا إلى الجهاد.

وقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾، المجاهدون أفضل، وفي هذه الآية نفي الاستواء بين المؤمنين، وأن المؤمنين ليسوا سواء، فمثل ذلك قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]. ونفي الاستواء في القرآن العزيز كثير ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ﴾ [الرعد: ١٦]. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ﴾ [فاطر: ١٢]. والآيات كثيرة، وأحب أن أنبه هنا على كلمة يطلقها بعض الناس قد يريدون بها خيرًا، وقد يطلقها بعض الناس يريدون بها شرًّا، وهي قولهم: إن الدين الإسلامي دين المساواة، فهذا كذب على الدين الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي ليس دين المساواة، الدين الإسلامي دين العدل، وهو إعطاء كل شخص ما يستحق، فإذا استوى شخصان في الأحقية فحينئذٍ يتساويان فيما يترتب على هذه الأحقية، أما مع الاختلاف فلا، ولا يمكن أن يطلق على أن الدين الإسلامي دين مساواة أبدًا، بل إنه دين العدل، لقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، هذه الكلمة: «الدين الإسلامي دين المساواة» قد يطلقها بعض الناس ويريد بها شرًّا، فمثلا يقول: لا فرق بين الذكر والأنثى، الدين دين مساواة، الأنثى أعطوها من الحقوق مثل ما تعطون الرجل، ولُّوها الولايات، اجعلوها تقود السيارات، اجعلوها تفعل ما يفعل الرجال، . . . لماذا؟ لأن الدين الإسلامي دين المساواة، الاشتراكيون يقولون: الدين دين مساواة، لا يمكن أن يكون هذا غني جدًّا، وهذا فقير جدًّا، لابد أن نأخذ من مال الغني ونعطي الفقير؛ لأن الدين دين المساواة، فيريدون بهذه الكلمة شرًّا، ولما كانت هذه الكلمة قد يُراد بها خير، وقد يُراد

بها شر، لم يوصف الدين الإسلامي بها، وإنما يوصف بأنه دين عدل، الذي أمر الله به ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ ولم يقل المساواة، ولا يمكن أن يتساوى اثنان أحدهما أعمى، والثاني بصير، أحدهما عالم والثاني جاهل، أحدهما عابد، والثاني فاسق، أحدهما نافع للخلق والثاني شرير، لا يمكن أن يستووا.

العدل الصحيح: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ لهذا أحببت التنبيه عليها؛ لأن كثيرًا من الكتاب العصريين أو غير الكتاب يطلق هذه الكلمة ولكنه لا يتفطن لمعناها، ولا يتفطن أن الدين الإسلامي لا يمكن أن يأتي بالمساواة من كل وجه، مع الاختلاف أبدًا، لو أنه حكم بالمساواة مع وجود الفارق، لكان دينًا غير مستقيم، إذ لا يمكن أن يسوي بين اثنين بينهما فوارق أبدًا، لكن إذا استووا من كل وجه، صار العدل أن يُعطى كل واحد منهما ما يُعطى الآخر، ويساووا، يعني هذا هو العدل.

وعلى كل حال فهذه الكلمة ينبغي لطالب العلم أن يتفطن لها، وأن يتفطن لغيرها أيضًا من الكلمات التي يطلقها بعض الناس وهو لا يعلم معناها، ولا يعلم مغزاها، ومن ذلك أيضًا قول بعضهم: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه. هذه كلمة عظيمة لا تجوز، لا أسألك رد القضاء؟! وقد قال النبي ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»، إذا دعوت الله تعالى بكشف ضر فهذا قد كتب في الأزل في اللوح المحفوظ، أن الله تعالى يرفع هذا الضر عنك بدعائك، فكله مكتوب، وأنت إذا قلت لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، كأنك تقول: لا يهمني، ترفع

أو لا ترفع، لكن الأولى أن يطلب الإنسان رفع كل ما نزل به، فلا تقل: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، ولكن قل: اللهم إني أسألك العفو والعافية، اللهم اشفني من مرضي، اللهم أغنني من فقري، اللهم اقضِ عني الدين، اللهم علمني ما جهلت، وما أشبه ذلك، وقال النبي ﷺ: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت**[١]» وهي أهون من اللهم لا أسألك رد القضاء «**لا يقل أحدكم اللهم اغفرلي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وليعزم المسألة، فإن الله تعالى لا مكره له**» وفي لفظ «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**[٢]».

وأرجو منكم حين جرى التنبيه على هاتين الكلمتين «الدين الإسلامي دين المساواة. واللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه» إذا سمعتم أحدًا يقول ذلك أن تناصحوه، وتتعاونوا على البر والتقوى، وقد يستغرب بعضهم هذا، كيف لا يكون هذا الدين دين مساواة؟ نقول: لا تستعجل، تأمل، الأعمى والبصير أهما سواء؟ العالم والجاهل أهما سواء؟ الذكر والأنثى.؟ وأكثر ما في القرآن العزيز هو نفي الاستواء، لم يأتِ ذكر الاستواء إلا في مواضع قليلة مثل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم(٦٩٢٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء، رقم(٤٨٣٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء، رقم(٤٨٣٨).

[الروم: ٢٨]. فالمراد نفي المساواة. ﴿هَلْ لَّكُم﴾ هذا الاستفهام بمعنى النفي هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء، والجواب: لا، إذًا فظاهره أنه إثبات المساواة، والأمر ليس كذلك، بل نفيها، وعلى كل حال فإني أنصح، وأريد منكم إذا سمعتم أحدًا يقول هذا فقل له: لا، ليس دين المساواة، بل هو الدين العدل فهو إعطاء كل واحد ما يستحق.

والقول الآخر «لا أسألك رد القضاء...» كلام لغو، وقضاء الله أن يرفع عنك المرض، أو يرفع عنك الجهل، أو يرفع عنك الفقر، فلا تقل هكذا، بل قل: اللهم عافني، اللهم ارفع عني البلاء والوباء وما أشبه ذلك.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الفقه في ديننا، وألا يجعلنا إمَّعة نقول ما يقول الناس، ولا ندري ما نقول. والله الموفق.

* * *

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

الشـــرح

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف: ١٠].

صدّر الله تعالى هذه الآيات بهذا النداء الشريف الموجه للمؤمنين، من أجل إثارة هممهم وتنشيطهم على قبول ما يسمعون من كلام الله عزَّ وجلَّ.

﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ القائل هو ربنا عزَّ وجلَّ، وهذا الاستفهام للتشويق، يشوقنا جلَّ وعلا بهذه التجارة التي يدلنا عليها، ويُستفاد من قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أنه ليس لنا طريق إلى هذه التجارة إلا الطريق الذي شرعه الله عزَّ وجلَّ، هو الدال على ذلك ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ وهذه التجارة ليست تجارة الدنيا؛ لأن تجارة الدنيا قد تنجي من العذاب الأليم وقد تكون سببًا للعذاب الأليم، فالرجل الذي عنده مال لا يزكي، يكون ماله عذابًا عليه والعياذ بالله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

تجارة الدنيا قد تنجي من العذاب وقد توقع في العذاب، لكن هذه التجارة التي عرضها الله عزَّ وجلَّ علينا ـ ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا وإياكم ممن يقبلونها ـ يقول: ﴿ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ أي عذاب مؤلم؛ لأنه لا

عذاب أشد ألمًا من عذاب النار، أعاذني الله وإياكم منها.

ما هذه التجارة؟ قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]. هذه التجارة: الإيمان بالله ورسوله، وهذا يتضمن جميع شرائع الإسلام كلها، ونص على الجهاد لأن السورة سورة الجهاد من أولها إلى آخرها كلها جهاد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. ثم ذكر ما يتعلق بذلك، وهنا يقول: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: تبذلوا جهدكم في سبيل الله، ببذل المال وبذل النفس. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ولا تصل، لا تقل ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لأنك لو وصلت لأفهمت معنى باطلاً في الآية ولكان المعنى: (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، وإن كنتم لا تعلمون فليس خيرًا لكم) وهذا ليس مراد الله عزَّ وجلَّ، بل إن المعنى: ذلكم خيرٌ لكم. ثم قال: إن كنتم من ذوي العلم، كأنه يقول: فاعلموا ذلك إن كنتم أهلاً للعلم.

هذا هو العمل، فما هو الثواب؟ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢].

جنات: هي ما أعده الله عزَّ وجلَّ لعباده الصالحين، وبالأخص المجاهدين في سبيل الله «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله عزَّ وجلَّ للمجاهدين في سبيل الله»[١] ولهذا جمع جنات، تجري من تحتها الأنهار،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم(٢٧٩٠).

أي: من تحت قصورها، وأشجارها، وهي أنهار ليست كأنهار الدنيا وهي أربعة أنهار: أنهار من ماء غير آسنٍ، يعني: لا يمكن أن يتغير بخلاف ماء الدنيا فإنه إذا بقي يتغير، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهار من عسلٍ مصفى، أنهار تجري، أنهار العسل فيها لم يخرج من النحل، واللبن لم يخرج من ضرع بهيمة، والماء لم يخرج من نبع الأرض، وكذلك الخمر لم يخرج من زبيب أو تمر أو شعير أو غير ذلك، أنهار خلقها الله عزَّ وجلَّ في الجنة. تجري كما يجري النهر، وهذه الأنهار ورد في الحديث أنها أنهار لا تحتاج إلى شق، ولا إلى سد، ولا يحتاج أن يحفر لها حتى يجري ولا أن يوضع لها أخدودًا تمنعها من التسرب يمينًا وشمالاً.

قال ابن القيم في النونية:

أنهارها من غير أخدودٍ جَرَت

سبحان ممسكها من الفيضان

ثم إن هذا النهر يأتي طوع اختيارك أنت، تطلب أن الماء يذهب يمينًا يذهب، يسارًا يذهب، أمامًا يذهب، يتوقف يتوقف، كما تشاء.

وقوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

مساكن طيبة: طيبة في بنائها، طيبة في غرفها، طيبة في منظرها، طيبة في مسكنها، طيبة من كل ناحية، والساكن فيها: حورٌ مقصورات في الخيام، خيام من لؤلؤ، مرتفعة من أحسن ما تراه بصرًا، قال النبي ﷺ: **«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما**

فيهما[1]» .

اللبنات : لبن البناء ليس من الطوب والتراب ، بل هو من الذهب أو من الفضة ، ولهذا وصفها الله بالطيب .

ثم إن من طيبها أن ساكنها لا يبغي عنها حولاً ، مساكن الدنيا مهما حسنت سترى ما هو أحسن من بيتك ، فتقول : ليت هذا لي .

لكن الجنة لا يبغي حولاً عن مسكنه ، ولا انتقالاً ، كل إنسان يرى أنه هو أنعم أهل الجنة ، لكي لا ينكسر قلبه لو رأى من هو أفضل منه ، عكس ذلك أهل النار . أهل النار ـ والعياذ بالله ـ يرى أحدهم أنه أشد أهل النار عذابًا ، وإن كان هو أهونهم .

فهذه المساكن الطيبة في جنات عدن ، قال العلماء : العدن بمعنى الإقامة ، ومنه المعدن في الأرض لطول إقامته ومكانه . أي : في جنات إقامة لا يمكن أن تزول أبد الآبدين . . نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها .

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ . **الفوز** : أن ينال الإنسان ما يريد ، وينجو مما يخاف .

العظيم : الذي لا أعظم منه ، ربح ليس فوقه ربح ، عوض ليس فوقه عوض ، لهؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله ، وجاهدوا في سبيل الله ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم منهم ولا يحرمنا هذا الفضل بسوء أعمالنا ، وأن يعاملنا بعفوه ، إنه على كل شيء قدير .

---

(١) رواه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ومن دونهما جنتان ، رقم(٤٥٠٠) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه ، رقم(٢٦٥) .

١٢٨٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ من الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا[١]» متفقٌ عليه.

١٢٨٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقَال: أيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قال: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سبيلِ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ[٢]» متفقٌ عليه.

١٢٩٠ ـ وَعَنْ سَهلِ بنِ سَعدٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا، وَمَوضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُها العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعالى أوِ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنيَا ومَا عَلَيْهَا[٣]» متفقٌ عليه.

الشــرح

وبقي قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣].

﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ ﴾ يعني ولكم أخرى تحبونها، ثم بينها بقوله ﴿ نَصْرٌ مِّنَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٢٥٨٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٣٤٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله، رقم(٢٥٧٨)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم(٣٥٠١).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم(٢٦٧٨)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم(٣٤٩٣).

ﭐللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ينصركم الله به على أعدائكم، ولا شك أن الإنسان إذا انتصر على عدوه فإن ذلك له محبة عظيمة؛ لأن الله تعالى يجعل عذاب عدوه على يده، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]. فوائد عظيمة، إذا عذب الله تعالى عدوك على يديك، ولهذا قال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ﴾، وقد حصل هذا للمؤمنين في صدر هذه الأمة، فتح الله عليهم فتوحات عظيمة، وغنموا غنائم كثيرة؛ لأنهم قاموا بما يجب عليهم من الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني بشر بهذه الأمور كلها من كان مؤمنًا بها، قائمًا بما يجب عليه من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله.

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - أحاديث في فضل الجهاد والرباط في سبيل الله، وأن الغدوة والروحة في سبيل الله، أو غدوة وروحة في الرباط خيرٌ من الدنيا وما فيها، وهذا فضل عظيم، خيرٌ من الدنيا كلها من أولها إلى آخرها، وما فيها.

وليس خيرًا من دنياك التي أنت تعيشها فقط، بل من الدنيا وما فيها، ومنذ متى؟ من زمن لا يعلمه إلا الله، وكذلك لا يدرى متى تنتهي، كل هذا خيرٌ من الدنيا وما فيها.

قال ﷺ: «وموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها» ويُقال في ذلك ما قيل في الأول: إن الدنيا كلها من أولها إلى آخرها موضع

السوط في الجنة خيرٌ منها. والغدوة والروحة في سبيل الله خيرٌ منها، والرباط في سبيل الله خيرٌ منها.

وفي هذه الأحاديث أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الرجال خيرٌ؟ فبين أنه الرجل الذي يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، ثم أي؟ قال: ورجلٌ مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره، يعني أنه قائم بعبادة الله، كاف عن الناس، ولا يريد أن ينال الناس منه شرٌّ، وهذا أحد الأدلة الدالة على أن العزلة خيرٌ من الخلطة مع الناس، ولكن الصحيح في هذه المسألة أن في ذلك تفصيلاً: من كان يخشى على دينه بالاختلاط بالناس فالأفضل له العزلة، ومن لا يخشى فالأفضل أن يخالط الناس؛ لقول النبي ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**[1]».

فمثلاً: إذا فسد الناس ورأيت أن اختلاطك معهم لا يزيدك إلا شرًّا وبعدًا من الله فعليك بالوحدة، اعتزل، قال النبي ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنمًا يتبع بها شعث الجبال، ومراتع القطر**[2]».

فالمسألة تختلف: العزلة في زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي خيرٌ من الخلطة، أما إذا لم يكن الأمر كذلك فاختلط مع الناس، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على أذاهم وعاشرهم، ربما ينفع الله بك رجلاً

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٣)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم(٤٠٢٢).
(٢) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم(٣٠٥٥).

واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم، إذا هداه الله على يديك. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٢٩١ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فِيهِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الذي كانَ يَعْمَلُ، وأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ[1]» رواه مسلم.

١٢٩٢ ـ وَعَنْ فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلا المُرَابِطَ فِي سَبِيلِ الله، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ[2]» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٩٣ ـ وَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فيما سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ[3]» رواه الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٩٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بي وتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فهو ضامنٌ عَلَيَّ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو أُرجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِه الذي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عزَّ وجلَّ، رقم(٣٥٣٧).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٠)، وأبوداود: كتاب الجهاد، باب في فضل الجهاد، رقم(٢١٣٩)، والترمذي: كتاب الفضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا، رقم(١٥٤٦).

(٣) رواه أحمد (١/ ٦٥)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، رقم(١٥٩٠)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، رقم(٣١١٨).

أَو غَنيمةٍ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبيلِ اللهِ إلا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَولاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأحْمِلَهُم وَلاَ يَجِدُون سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. لَوَدِدْتُ أني أَغْزُو فِي سَبيل اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغزو، فَأُقتلَ، ثُمَّ أَغزوَ، فَأُقْتَلَ[١]» رواهُ مسلمٌ وروى البخاري بعضَهُ.

«الكَلْمُ»: الجرْحُ.

الشــرح

هذه الأحاديث ساقها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في باب بيان فضل المرابطة في سبيل الله، يعني أن يرابط الإنسان على الحدود، أو اتجاه العدو في سبيل الله عزَّ وجلَّ لإعلاء كلمة الله وحفظ دين الله، وحفظ المسلمين، فإن هذا من أفضل الأعمال.

وقد سبق أن النبي ﷺ قال: **«رباط في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها»**. وفي هذه الأحاديث دليلٌ على أن المرابط يجري عليه عمله إلى يوم القيامة، وأنه يأمن فتنة القبر، يعني: أن الناس إذا ماتوا ودفنوا أتاهم ملكان يسألان الرجل عن ربه، ودينه، ونبيه، إلا من مات مرابطًا في سبيل الله فإنه لا يأتيه الملكان يسألانه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم(٥١٠٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم(٣٤٨٤).

وقد بيّن النبي ﷺ الحكمة من ذلك فقال: «كفى ببارقه السيوف على رأسه فتنة[١]»، فالشهيد والمرابط كلاهما لا يأتيه الملكان في قبره فيسألانه، بل يأمن من ذلك، وهذا فضلٌ عظيمٌ وأجرٌ عظيمٌ.

وأما حديث أبي هريرة الأخير ففيه دليلٌ على فضيلة القتيل في سبيل الله، ولهذا أقسم النبي ﷺ أنه لو لا أن يشق على المسلمين ما تخلف عن سرية قط، ولكنه يتخلف عليه الصلاة والسلام أحيانًا، لمصالح المسلمين وقضاء حوائجهم، وعدم المشقة عليهم، وأقسم ﷺ أنه يتمنى ويود أن لو قُتل في سبيل الله ثم أحيي فقتل، ثم أحيي فقُتل، فهذا يدل على فضل القتل في سبيل الله، ولا شك في هذا، والقرآن واضح في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

وهذه الحياة البرزخية ليست كحياتنا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. حياة لا نعلم طبيعتها، يعني لو فتحت على قبره لوجدت الإنسان ميتًا، لكنه عند الله حيٌّ يرزق يأكل من الجنة بكرة وعشية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، وأن يعيننا وإياكم على الجهاد في سبيله،

(١) رواه النسائي: كتاب الجنائز، باب الشهيد، رقم(٢٠٢٦).

جهاد أنفسنا، وجهاد أعدائنا، إنه على كل شيء قدير.

***

١٢٩٥ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إلا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَكَلْمُهُ يَدْمَي: اللوْنُ لونُ دَمٍ، والريحُ ريحُ مِسْكٍ[1]» متفقٌ عليه.

١٢٩٦ - وَعَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجلٍ مُسلِمٍ فُواقَ نَاقةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَو نُكِبَ نَكبَةً فإنَّها تجيء يومَ القِيَامَةِ كأَغزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُها الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُها كَالمِسكِ[2]».

رواهُ أبوداودَ، والترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٩٧ - وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، بِشعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِن مَاءٍ عَذبَة، فَأَعجَبتهُ، فَقَالَ: لَو اعتَزَلتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعبِ، وَلَنْ أَفعَلَ حَتَّى أَستَأذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «لا تَفْعَلْ، فإنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفضلُ مِنْ صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلاَ تُحبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ويُدْخِلَكُمْ الجَنَّةَ؟ اغزُوا فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة[3]» رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم(٥١٠٧).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة، رقم(٢١٧٩)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله، رقم(١٥٨١).

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، رقم(١٥٧٤).

«والفُوَاقُ»: مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ.

١٢٩٨ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ، ما يَعْدِلُ الجِهَادَ في سبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ» فَأَعَادُوا عَلِيهِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا، كُلُّ ذلكَ يقُول: «لا تَسْتَطِيعُونَهُ!» ثمَّ قالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ في سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ لا يَفْتُرُ مِنْ صَلاةٍ ولا صِيَامٍ، حَتَّى يَرجِع المُجَاهِدُ في سَبِيلِ الله[1]» متفقٌ عليه. وهذا لفظ مسلمٍ.

وفي روايةِ البخاريِّ[2]، أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدُه» ثمَّ قال: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أن تَدخُلَ مَسجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تفترَ، وتَصُوم ولا تُفْطِر»؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَستَطيعُ ذَلِكَ؟!

١٢٩٩ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاش النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هيعةً، أَوْ فَزعَةً عَلَيْهِ، يَبْتَغِي القَتْلَ والمَوتَ مَظَانَّهُ، أو رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رأس شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَو بَطنِ وادٍ مِنْ هَذِهِ الأوديةِ يُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِين لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلا في خَيْرٍ[3]» رواه مسلم.

١٣٠٠ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مائَةَ دَرَجَةٍ أَعدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدينَ في سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ[4]»

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله، رقم(٢٥٧٩)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٤٩٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم(٢٥٧٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم(٣٥٠٣).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، =

رواه البخاريُّ.

١٣٠١ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً. وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» فَعَجِبَ لَهَا أبو سَعِيدٍ، فَقَالَ أعِدها عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مائَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ» قالَ: ومَا هِيَ يَا رسُولَ الله؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله[1]» رواه مسلمٌ.

الشرح

هذه أحاديث متعددة، كلها في فضل الجهاد في سبيل الله، فمنها أي من فضل الجهاد في سبيل الله، أن الإنسان إذا قتل شهيدًا، فإنه يأتي يوم القيامة، وجرحه يدمي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، يشهده الأولون والآخرون من هذه الأمة وغيرها، بل ويشهده الملائكة في ذلك اليوم المشهود، وهذا يوجب له الرفعة في الدنيا والآخرة.

ومنها: أن من قاتل «فُواقَ ناقة» وهو ما بين الحلبتين ـ فإنه تجب له الجنة، فإذا شهد الصف ولو بهذا المقدار يقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فإنها توجب له الجنة.

ومنها: أن الخارج للجهاد في سبيل الله، له مثل أجر الصائم القائم من حين أن يخرج إلى أن يرجع، والصائم القائم من حين أن يخرج المجاهد إلى أن

= رقم(٢٥٨١).

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة، رقم(٣٤٩٦).

يرجع هو الذي يساويه في الأجر عند الله عزَّ وجلَّ، ولكن ذلك لا يستطاع كما قاله النبي ﷺ وقاله الصحابة له، ومنها أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة في الجنة، كل درجة بينها وبين الأخرى مثل ما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

فهذه الأحاديث وأمثالها، وهي كثيرة جدًّا، تدل على فضل الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله يكون بالمال ويكون بالنفس، ولكنه بالنفس أفضل وأعظم أجرًا؛ لأن كل هذه الأحاديث التي سمعناها، كلها فيمن جاهد بنفسه، ومن جاهد بماله فهو على خير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه من جهَّزَ غازيًا في سبيل الله فقد غزا: أي كتب له أجر الغازي، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله، ابتغاء وجه الله، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٣٠٢ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي مُوسى الأشْعَرِي رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي رضي الله عنه وَهُوَ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ، يَقُول: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ» فقامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيئَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أَأَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هذا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ» ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ[1]» رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢١).

١٣٠٣ - وَعَنْ أَبِي عَبْسٍ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ جَبْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ[(١)]» رواهُ البخاريُّ.

١٣٠٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ[(٢)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٠٥ - وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ[(٣)]» رواه الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٠٦ - وَعَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيْلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا[(٤)]» متفقٌ عليه.

١٣٠٧ - وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنيحَةُ خادِمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَو طَروقَةُ فَحْلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ[(٥)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، رقم(٢٦٠٠).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٠٥)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، رقم(١٥٥٧).

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، رقم(١٥٦٣).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه خير، رقم(٢٦٣١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١١).

(٥) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله، رقم(١٥٥٢).

١٣٠٨ ـ وَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ فتًى مَن أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجَهَّزُ بِهِ، قَال: ائتِ فلانًا، فإنَّه قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: أعْطِني الذي تَجَهَّزتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعطِيه الذي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلاَ تَحبِسي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ، لا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَك لَكَ فِيهِ[1]. رواه مسلمٌ.

١٣٠٩ ـ وَعَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ إلى بَنِي لحيانَ فقال: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما، والأَجْرُ بَيْنَهُمَا[2]» رواهُ مسلمٌ.

وفي روايةٍ لَهُ: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ ثُمَّ قَال للقَاعِدِ: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ في أَهْلِهِ ومَالِهِ بِخَيْرٍ كانَ لَهُ مِثْلُ نصْفِ أَجرِ الخارِجِ[3]».

١٣١٠ ـ وَعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِي ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحديدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ فَقَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِل» فَأَسْلَمَ، ثمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَمِلَ قَليلاً وأُجِرَ كَثِيرًا[4]». متفقٌ عليه، وهذا لفظُ البخاري.

١٣١١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ إلا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، رقم(٣٥١٤).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال، رقم(٢٥٩٧).

إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ[(١)]».

وفي روايةٍ: «لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ[(٢)]» متفقٌ عليه.

١٣١٢ - وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَغْفِرُ اللهُ لِلشهيدِ كُلَّ ذَنْبٍ إلا الدَّيْنَ[(٣)]» رواه مسلم.

وفي روايةٍ له: «القَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيءٍ إلا الدَّيْنَ[(٤)]».

١٣١٣ - وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهم فَذَكَرَ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، والإيمانَ باللهِ أَفْضَلُ الأعمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنتَ صَابِرٌ، مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ، مُحْتَسِبٌ، مُقبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إلا الدَّيْنَ، فإنَّ جِبْرِيلَ عليهِ السَّلامُ قالَ لِي ذلِكَ[(٥)]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، رقم(٢٦٠٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٤٨٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، رقم(٢٥٨٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٤٨٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم(٣٤٩٨).

(٤) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قُتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم(٣٤٩٩).

(٥) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قُتل في سبيل الله كثرت خطاياه إلا الدين، رقم(٣٤٩٧).

الشرح

هذه الأحاديث المتعددة، ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب الجهاد وفيها مسائل:

منها: أن النبي ﷺ كان حسن التدبير في أصحابه، فهذا الرجل الذي جاء إليه، وقال: إني أريد الغزو وليس عندي شيء، يعني يغزو به، فأحاله على رجل كان قد تجهز ليغزو ولكنه مرض، ثم إن الرجل ذهب إلى صاحبه فأعطاه جهازه وقال لامرأته: لا تتركي منه شيئًا، فإنك لا تتركي شيئًا فيبارك لنا فيه، فجهزه.

وفيها: أي في هذه الأحاديث دليلٌ على أن من جهَّزَ الغازي وأعطاه ما يكفي لغزوه فإنه كالذي يغزو، وأن من خلف الغازي في أهله بخير فله مثل أجره، ويدل على هذا أيضًا قضية بني لحيان، حيث أن النبي ﷺ أمرهم أن يخرج منهم واحد ويبقى واحد يخلف الغازي في أهله ويكون له نصف أجره؛ لأن النصف الثاني للغازي.

وفي هذه الأحاديث أيضًا من فضائل الجهاد أن أبواب الجنة تحت السيوف بمعنى أن من قاتل فإنه يكون قتاله سببًا لدخول الجنة من أبوابها، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن في الجنة بابًا يُقال له باب الجهاد يدخله من يجاهد في سبيل الله.

وفي هذه الأحاديث: أن الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلا الدَّين، يعني إلا دَين الآدمي، فإن الشهادة لا تكفره؛ وذلك لأن دَين الآدمي لابد من إيفائه إما في الدنيا وإما في الآخرة وفي هذا الحديث التحذير من التساهل

في الدَّيْن وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل في الدين ولا يستدين إلا عند الضرورة، وليس عند الحاجة، إنما عند الضرورة القصوى؛ لأن النبي ﷺ لم يأذن للرجل الذي قال زوجني، فقال: «**أصدق المرأة**» قال: ليس عندي إلا إزاري، قال: «**إزارك لا ينفعها إن أعطيتها إياه بقيت بلا إزار، وإن أبقيته عليك بقيت بلا مهر، التمس لو خاتمًا من حديد**[١]» فالتمس فلم يجد، فقال: «**زوجتكها بما معك من القرآن**» ولم يقل استقرض من الناس، مع أنه زواج، حاجة ملحة، لكن لم يأذن له الرسول ﷺ بل لم يرشده إلى الاستدانة؛ لأن الدَّين خطير جدًّا، وقد روي عن النبي ﷺ بسند فيه نظر: «**أن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه**[٢]» فالأمر مهم فلا تستهن بالدين، الدين هَمٌّ في الليل وذلٌّ في النهار، فالإنسان مهما أمكنه يجب أن يتحرز من الدين، وأن لا يسرف في الإنفاق؛ لأن كثيرًا من الناس تجده فقيرًا ثم يريد أن ينفق على نفسه وأهله كما ينفق الأغنياء، فيستلف من هذا، ويستلف من هذا، أو يستدين، أو يرابي، وهذا غلط عظيمٌ، يعني لو لم يكن لك إلا وجبة واحدة في الليل والنهار، فلا تستلف، اصبر، وقل: اللهم اغنني. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر القلب، رقم(٤٦٤٢)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، رقم(٢٥٥٤).

(٢) رواه أحمد (٢/٥٠٨)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال نفس المؤمن معلقة بدينه، رقم(٩٩٨)، وابن ماجه: كتاب الأحكام، باب التشديد في الدين، رقم(٢٤٠٤).

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. أما تهاون بعض الناس ـ نسأل الله العافية ـ ويستدين من أجل أن يفرش كل البيت فراشًا حتى الدرج فهذا غلط أو يستدين من أجل أن يأخذ سيارة فخمة، مع أنه يكفيه سيارة مثلاً بعشرين ألفًا، يقول: لا بمائة ألف، وهو فقير.

هذا من سوء التصرف ومن ضعف الدين ومن قلة المبالاة؛ لأن الدَّين لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله، فكيف تستدين؟ إلا عند الضرورة وأقول: عند الضرورة ليس عند الحاجة يعني حتى لو كنت محتاجًا وتحب كماليات، لا تستدِنْ، لا تشتر شيئًا ليس معك ثمنه، اصبر حتى يرزقك الله ثم اشتر على قدر الحال ولهذا من الأمثال العامية الصحيحة (أمدد رجلك على قدر لحافك) إن أمددتها أكثر تعرضت للبرد والشمس وغير ذلك.

ففيه التحذير من الدَّين وأنه لا ينبغي للإنسان أن يستدين.

والدَّين دين سواء كان إجارة أو ثمن مبيع، وبعض الناس من السفهاء قد يأتيه ضيف وحاله معسرة وقد يكون عليه دين، فيهم بإكرام ضيفه فيذبح له ويتكلف للضيف، بل إن بعضهم قد يطلق زوجته من أجل أن يذبح لضيفه، يقول الضيف، لا تكلف نفسك ولا تذبح، فيقول: لا.. ويحلف بالطلاق أنه يذبح، وأرى أن هؤلاء يحتاجون إلى توعية وهذه مسئولية إخوتنا الدعاة، جزاهم الله خيرًا.

وهنا مسألة: بعض الناس يكون عليه دين ثم يتصدق ويقول: أحب هذه الصدقة وهذا حرام كيف تتصدق وأنت مدين؟ أَدِّ الواجب أولاً، ثم التطوع ثانيًا، لأن الذي يتصدق ويستدين كالذي يبني قصرًا ويهدم مصرًا،

أنت الآن مطالب مطالبة واجبة أن توفي دينك، كيف تتصدق، أوفِ ثم تصدق.

وفي هذه الأحاديث أيضًا: أن الجهاد بدون إسلام لا ينفع صاحبه؛ لأن الرجل الذي استأذن من النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أجاهد ثم أسلم، أم أسلم ثم أجاهد؟ قال: «**أسلم ثم جاهد**» فأسلم ثم جاهد، وهكذا جميع الأعمال الصالحة يشترط فيها الإسلام، لا يقبل الله من أحد صدقة ولا حجًّا ولا صيامًا ولا أي شيء وهو غير مسلم فإذا رأينا - مثلاً - رجلاً لا يصلي ولكنه كثير الصيام، كثير الصدقات، بشوشًا للناس، أخلاقه طيبة لكنه لا يصلي، فاعلم أن كل عمل يعمله لا ينفعه يوم القيامة حتى الصيام يصوم رمضان ولا يصلي، ليس له صيام، يحج ولا يصلي ليس له حج، بل يحرم عليه أن يذهب إلى مكة وهو لا يصلي؛ لأن الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة: ٢٨]، فالإسلام شرط لكل عبادة، ولا تقبل أي عبادة إلا بالإسلام ولا تصح أي عبادة إلا بالإسلام، والله الموفق.

* * *

١٣١٤ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رجُلٌ: أينَ أنَا يَا رَسُولَ اللهِ إنْ قُتِلْتُ؟ قالَ: «فِي الجَنَّةِ» فَألقَى تمَرَاتٍ كُنَّ فِي يدِهِ، ثُمَّ قَاتَل حَتَّى قُتِلَ[1]. رواه مسلمٌ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥١٨).

١٣١٥ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنهما قالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المشْرِكينَ إلَى بَدرٍ، وَجَاءَ المُشرِكُونَ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إلى شَيءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» فَدَنَا المُشرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَواتُ والأرضُ» قالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنصارِيُّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمواتُ والأرضُ؟ قال: «نَعَم» قالَ: بَخٍ بَخٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ إلا رجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ منهُنَّ، ثم قَالَ لئن أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتي هَذِهِ إنَّها لَحياةٌ طَويلةٌ! فرَمَى بِمَا مَعَهُ منَ التَّمْرِ، ثم قَاتَلَهُم حَتَّى قُتِلَ[1]. رواهُ مسلمٌ.

«القَرَن» بفتح القاف والراء: هو جُعبَةُ النَّشَّابِ.

١٣١٦ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه قال: جَاءَ نَاسٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرآنَ والسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبعِينَ رَجلاً مِنَ الأنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ: القُرَّاءُ، فيهم خَالِي حَرَامٌ، يَقرءونَ القُرآنَ، وَيَتَدَارَسُونَه بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وكانُوا بِالنَّهارِ يَجيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، ويَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَه، وَيَشتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأهْلِ الصُّفَّةِ، ولِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُم النَّبِيُّ ﷺ، فَعَرَضُوا لَهم فَقَتَلُوهمْ قَبلَ أَنْ يبلغُوا المَكانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ من خلفهِ، فطعنهُ بِرمحٍ حتَّى أنْفذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إخْوانَكم قَد قُتِلوا وإنَّهمْ قالُوا: اللَّهُمَّ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢٠).

بَلِّغ عَنَّا نَبِيَّنا أنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ وَرَضِيتَ عَنَّا» متفقٌ عليه[١]، وهذا لفظ مسلم.

١٣١٧ ـ وَعَنْهُ قالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قتالِ بَدرٍ، فقَال: يَا رَسُولَ اللهِ غِبتُ عَن أوَّلِ قتالٍ قَاتَلتَ المُشركينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَني قتال المُشركين ليَرَيَنَّ الله ما أصنعُ. فَلما كان يَومُ أُحُدٍ انكشَفَ المسلمون، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إني أعتذرُ إليْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤلاءِ ـ يَعْنِي أصحابَهُ ـ وأبرأُ إليكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤلاءِ ـ يعني المُشركين ـ ثمَّ تَقَدَّمَ فاستقْبَلَهُ سَعدُ بنُ مُعَاذٍ فقال: يَا سعدُ بن مُعَاذٍ الجَنَّةُ وربِّ النَّضرِ، إنِّي أجدُ ريحَهَا مِنْ دُونِ أحُدٍ، قال سعدٌ: فمَا استطَعتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضعًا وثَمَانِينَ ضربَةً بالسَّيفِ، أو طَعَنَةً بِرُمْحٍ أوْ رَميَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قد قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشركونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إلا أُخْتُهُ بِبَنانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرى ـ أو نَظُنُّ ـ أن هذه الآيَة نَزلتْ فيهِ وفي أشبابهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٢] متفقٌ عليهِ وقد سبق في باب المُجَاهَدَةِ.

١٣١٨ ـ وعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «رَأيتُ الليلةَ رَجُلَيْنِ أتَيَاني، فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاني دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وأَفْضَل، لَمْ أَرَ قطُّ أحسنَ منهَا، قَالا: أمَّا هذه الدار فدارُ الشهداءِ[٣]» رواه البخاري وهو بعضٌ من

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا، رقم(٢٥٩٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم(٣٥٢٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم(١٢٩٧).

حديث طويل فيه أنواع العلم سيأتي في باب تحريم الكذب إن شاء الله تعالى.

١٣١٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنتَ البَرَاء وهي أُمُّ حَارِثَةَ بن سُرَاقَةَ، أتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسولَ اللهِ ألا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ـ وكان قُتِلَ يوم بَدْرٍ ـ فإنْ كانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وإن كانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدتُ عليه في البُكاءِ، فقال: «يا أُمَّ حَارِثَة إنَّها جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أصَابَ الفِرْدوسَ الأعْلى[1]» رواه البخاريُّ.

١٣٢٠ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جِيءَ بأبي إلى النَّبيِّ ﷺ قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَهَبْتُ أكْشِفُ عنْ وَجْهِهِ فنَهَاني قومٌ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا زالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِها[2]» متفقٌ عليه.

١٣٢١ ـ وَعَنْ سَهلِ بن حُنَيْفٍ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «مَنْ سَألَ الله تعالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وإنْ ماتَ على فِرَاشِهِ[3]» رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث في فضل الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وأن لهم الجَنَّة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله، رقم(٢٥٩٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم(١٢١١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن طرم، رقم(٤٥١٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٥٣٢).

وذكر المؤلف - رحمه الله - أحاديث كثيرة في هذا الباب تدل على صدق الصحابة رضي الله عنهم، وصدق إيمانهم. يخبرهم النبي ﷺ بما للشهداء فيدعون ما بأيديهم من الطعام ويتركونه ويتقدمون إلى الجهاد في سبيل الله ثم يُقتلون فيلقون الله عزَّ وجلَّ راضين عنه وهو راضٍ عنهم جلَّ وعلا، وهذا لا شك أنه من فضائل الصحابة رضي الله عنهم التي لا يلحقهم بعدهم أحد فيها.

هذا عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه لمَّا قال النبي ﷺ يوم بدر: «**من قاتلهم محتسبًا مقبلاً غير مدبر وجبت له الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض**» قال: يا رسول الله، جنة عرضها كعرض السماء والأرض؟ قال: «**نعم**» فأخرج تمرات من قرنه الذي يوضع فيه الطعام عادةً ويأخذه المجاهد، ثم جعل يأكل، ثم استطال الحياة رضي الله عنه، وقال: والله لإن بقيت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، ثم تقدم فقاتل وقُتل رضي الله عنه وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة.

وكذلك أنس بن النضر رضي الله عنه لقي سعد بن معاذ في غزوة أحد، وأخبره بأنه يجد ريح الجنة دون أحد، قال ابن القيم: فهذه من الكرامات التي يكرم الله بها من يشاء من عباده أن يجد ريح الجنة وهو في الأرض والجنة في السماء، لكن من أجل أن الله يثبت يقينه حتى يتيقنها وكأنها أمر محسوس عنده فقاتل حتى قُتل؛ لأنه رضي الله عنه تأخر عن غزوة بدر، وسبب ذلك أن كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم لم يخرجوا في بدر لأنهم إنما خرجوا من أجل عير أبي سفيان التي جاء بها من الشام يريد بها مكة، ولم يخرجوا لقتال،

ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم من غير ميعاد، فتخلف رضي الله عنه لأنهم لم يؤمروا بالخروج إلى الغزو، وإنما قال الرسول ﷺ: من شاء أن يخرج معنا فليخرج، فخرج من خرج وتخلّف من تخلّف، لكنه قال رضي الله عنه: حين تخلف عن هذه الغزوة - غزوة بدر - لأن أشهدني الله مشهدًا - يعني غزوًا في سبيل الله - ليرين الله مني ما أصنع، ثم تقدم وجاهد وجالد وقاتل حتى قُتل، ووجدوا به بضعًا وثمانين أو بضعًا وتسعين ضربة في جسد واحد، مما يدل على أنه قد غامر وخاض صفوف المشركين، لم تعرفه إلا أخته ببنانه، وقال رضي الله عنه وهو يجاهد: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه الذين انكشفوا في غزوة أحد، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين[(١)].

فهذه القصص وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن الله اختار لنبيه ﷺ أفضل الخلق وأنه مصداق قوله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. . .**[(٢)]» نسأل الله أن يبلغنا وإياكم منازل الشهداء، وأن يجمع بيننا وبينهم في جنات النعيم.

* * *

١٣٢٢ - وَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادقًا أُعطِيَهَا وَلَو لم تُصِبْهُ[(٣)]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ. . . ﴾، رقم(٢٨٠٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، رقم(٢٤٥٨)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم، رقم(٤٦٠١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم(٣٥٣١).

١٣٢٣ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إلا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مسِّ القرصةِ[(١)]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٢٤ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن أبي أوفى رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ في بعضِ أيَّامِهِ التي لَقِيَ فيها العدُوَّ انتظرَ حتى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فقال: «أَيُّها الناسُ، لا تتمنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العافيةَ، فَإذَا لقيتُمُوهم فَاصْبرُوا، وَاعلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السيوفِ» ثم قال: «اللهمَّ منزِلَ الكتابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وانْصُرنَا عَلَيْهِمْ[(٢)]» متفقٌ عليه.

١٣٢٥ ـ وعَنْ سَهْلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «ثِنتَانِ لا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البأسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا[(٣)]» رواهُ أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٢٦ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا غَزَا قال: «اللَّهُمَّ أنتَ عضُدي ونصيري، بكَ أجولُ، وبِكَ أَصُولُ، وبِكَ أُقَاتِلُ[(٤)]» رواهُ أبوداود، والترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، رقم(١٥٩١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم...، رقم(٢٧٤٤)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر، رقم(٣٢٧٦).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء، رقم(٢١٧٨).

(٤) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء، رقم(٢٢٦٢)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، رقم(٣٥٠٨).

١٣٢٧ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسى رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذَا خَافَ قومًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرورِهِم[(١)]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٢٨ ـ وَعَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «الخَيلُ معقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخيرُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[(٢)]» متفقٌ عليه.

١٣٢٩ ـ وَعَنْ عُرْوَةَ البَارِقِيِّ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، والمَغنمُ[(٣)]» متفقٌ عليه.

١٣٣٠ ـ وَعَنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «من احتبسَ فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعدِهِ، فإنَّ شَبَعَهُ، وريَّهُ وروثه، وبوله في ميزانه يوم القيامة[(٤)]» رواه البخاري.

١٣٣١ ـ وعَن أبي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ بِنَاقَةٍ مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بِهَا يومَ القِيَامَةِ سبعُمائة نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخطُومَةٌ[(٥)]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤١٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا خاف قومًا، رقم(١٣١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، رقم(٢٦٣٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير، رقم(٣٤٧٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، رقم(٢٦٤٠)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير، رقم(٣٤٨٠).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسًا في سبيل الله، رقم(٢٦٤١).

(٥) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله، رقم(٣٥٠٨).

١٣٣٢ ـ وعَنْ أَبي حماد ويُقالُ: أبو سُعاد، ويُقَالُ: أبو أَسَدٍ، ويقال: أبُو عامِرٍ ويقالُ: أبو عمْرو، ويُقال: أبُو الأسودِ، ويُقالُ: أبو عَبْسٍ ـ عُقْبَةَ بن عامِرٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنبَرِ يَقُولُ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استطعتُمْ من قوةٍ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، ألا إن القُوَّةَ الرَّميُ، ألا إنَّ القوةَ الرَّمْيُ[1]» رواه مسلمٌ.

الشرح

هذه أحاديث متنوعة ساقها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ بعضها في بيان فضيلة الشهداء، وقد سبقت أحاديث كثيرة في هذا الموضوع، وبعضها في فضل المشاركة في الجهاد بالراحلة والسهم.

فأما الأول فقد ذكر النبي ﷺ أن الإنسان إذا استشهد في سبيل الله فإن ما يصيبه من القتل يكون كالقرصة يعني كقرصة النملة أو الذرة أو ما أشبه ذلك؛ لأن الله تعالى يسهل عليه القتل كما أنه يسهل عليه خروج الروح؛ لأن الروح تبشر برضوان من الله عزَّ وجلَّ وبالجنة فيسهل عليها الخروج، كما في غيرها من الأموات.

ومنها: أن النبي ﷺ حينما خطب الناس بين الحكم في قوله: **«لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا فإن الجنة تحت ظلال السيوف»** والشاهد من هذا الحديث قوله: **«الجنة تحت ظلال السيوف»**.

ومنها: أي من فضائل الجهاد في سبيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن الإنسان الذي

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم(٣٥٤١).

يشارك براحلة يكتب له بذلك أجرها، كما قال النبي ﷺ: «الخيل معقودٌ في نواصِيها الخير إلى يوم القيامة».

والمراد بالخيل: خيل الجهاد؛ لأنه فسر هذا الخير بقوله: «الأجر والمغنم»، وهذا إنما يكون في خيل الجهاد فخيل الجهاد في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. ويحتمل أن يكون الحديث عامًا، أي الخيل كلها سواء كانت ممن يجاهد عليه أم لا، للعموم.

ومنها: أيضًا أن رجلاً جاء بناقة مخطومة إلى رسول الله ﷺ فقال: هذه يا رسول الله في سبيل الله، فأخبره النبي ﷺ أن الله أعد له يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة؛ لأن الله تعالى يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

ومنها: أي من الجهاد في سبيل الله ـ المساعدة في السهام: الرمي ولهذا خطب النبي ﷺ ذات يوم، فقال في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي». والرمي في كل وقت بحسبه، ففي عهد الرسول ﷺ يكون الرمي بالقوس بالسهام وفي وقتنا الآن يكون الرمي بالقنابل والصواريخ وما أشبهه؛ لأن كل رمي يكون بحسب الوقت الذي يكون فيه الإنسان. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله بالمال والنفس، إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٣٣٥ - وعنْهُ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ يُدخِلُ بالسهم الواحدِ ثَلاَثَةَ نَفرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يحتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيرَ، والرَّامِي بِهِ، ومُنْبِلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرمُوا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ تَركَبُوا. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإنَّها نِعْمَةٌ تَرَكَهَا» أَوْ قَالَ: «كَفَرَهَا[١]». رواه أبوداود.

١٣٣٦ - وَعَنْ سَلَمَةَ بن الأكوعِ رضي الله عنه قالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ: «ارمُوا بَنِي إسْمَاعِيلَ فَإنَّ أَبَاكُمْ كانَ رَامِيًا[٢]» رواه البخاري.

١٣٣٧ - وَعَنْ عمْرِو بنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قَال: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحرَّرَةٍ[٣]» رواهُ أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٣٨ - وعَنْ أَبي يحيى خُرَيْم بنِ فاتِكٍ رضي الله عنه: قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفقَةً في سبيل اللهِ كُتِبَ لَهُ سَبْعُمائةِ ضعفٍ[٤]» رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٣٣٩ - وعَنْ أَبي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَومًا في سَبِيلِ اللهِ إلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عن النار سبْعِينَ خَريفًا[٥]»

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم(٣٥٤٢).
(٢) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم(٣٥٤٣).
(٣) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في الرمي، رقم(٢١٥٢)، والنسائي: كتاب الخيل، باب تأديب الرجل فرسه، رقم(٣٥٢٢).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم(٢٦٨٤).
(٥) رواه أحمد (٢٦/٣)، والترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم(١٥٦٢).

متفقٌ عليه.

١٣٤٠ ـ وعَنْ أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ صامَ يَومًا في سبيل الله جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّار خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ(١)» رواهُ الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٤١ ـ وَعَنْ أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، ماتَ على شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ(٢)» رواه مسلمٌ.

١٣٤٢ ـ وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلا كانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ(٣)».

وفي روايةٍ: «حَبَسَهُمُ العُذرُ(٤)». وفي روايةٍ: «إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأَجْرِ(٥)» رواهُ البخاريُ من روايةِ أنس(٦)، ورواه مسلمٌ(٧) من رواية جابرٍ واللفظ له.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله، رقم(١٥٥٠)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله تعالى، رقم(٣١٣٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم(٢٦٢٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم(١٩٤٨).

(٣) رواه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله، رقم(١٥٤٩).

(٤) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغفر ولم يحدث نفسه بالغزو، رقم(٣٥٣٣).

(٥) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض، رقم(٣٥٣٤).

(٦) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، رقم(٢٦٢٧).

(٧) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره، رقم(٢٨٩٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم(٣٥٢٤).

١٣٤٣ - وَعَنْ أَبِي مُوسى رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمْ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ[1]؟

وفِي روايةٍ: وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً.

وفِي روايةٍ: وَيُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ فِي سبيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سبيلِ اللهِ» متفقٌ عليهِ.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان أمورٍ في الجهاد في سبيل الله، منها الرمي، وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «ألا إن القوة الرمي» كررها ثلاثًا.

وفي الأحاديث التي ساقها المؤلف في هذا الباب حث على تعلم الرمي، وعلى أن من ترك الرمي بعد أن منَّ الله تعالى عليه به فإنها نعمة كَفَرَهَا، وفي بعض الأحاديث أن النبي ﷺ تبرأ منه.

وفي بعض الأحاديث أيضًا إنها «ستفتح عليكم أرضون وسيكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه».

ففي هذه الأحاديث وأشباهها حث على تعلم الرمي وعلى أن الإنسان ينبغي له أن يتعلم كيف يرمي ولو بالأسلحة الخفيفة، لأنه لا يدري ماذا يحدث له، حتى إن النبي ﷺ أجاز العوض في المسابقة في الرمي، يعني مثلاً رمى اثنان بالبندقية أو شبهها من السلاح ويجعلون بينهما عوضًا، من يرم منهم يأخذه،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا مغنم، رقم(٣٥٢٩).

هذا أيضًا لا بأس به وجائز، لما في ذلك من الحث على تعلم الرمي، وفي هذه الأحاديث أن النبي ﷺ قال: «اركبوا وارموا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا»؛ لأن الرمي يدركه الإنسان الراكب والراجل، أما الركوب فلا يدركه إلا من ركب، ولهذا كان الرمي أحب إلى النبي ﷺ من الركوب.

وفي هذه الأحاديث أيضًا دليلٌ على فضيلة الصيام في الجهاد في سبيل الله وأن الإنسان إذا صام يومًا في سبيل الله باعد الله بين وجهه وبين النار سبعين خريفًا: يعني سبعين سنة.

وفي هذه الأحاديث دليلٌ على وجوب إخلاص النية لله، فإن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل زورًا ويُقاتل غضبًا - يعني عصبية لقومه - فمن في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» والله الموفق.

* * *

١٣٤٤ - وَعَنْ عَبدِ اللهِ بن عَمرِو بن العَاصِ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلا كانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَي أُجورِهِم، وَمَا مِنْ غازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وتُصَابُ إلا تَمَّ أُجورُهُم[1]» رواهُ مسلمٌ.

١٣٤٥ - وعَنْ أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتي الجِهَادُ في سَبِيلِ الله عَزَّ وجَلَّ[2]» رواهُ

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، رقم(٢١٢٧).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في فضل القفل في سبيل الله، رقم(٢١٢٨).

أبوداود بإسناد جيدٍ.

١٣٤٦ ـ وعَنْ عبدِ اللهِ بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «قَفْلَةٌ كغَزْوَةٍ[1]» رواهُ أبوداود بإسنادٍ جيدٍ.

«القَفْلَةُ»: الرُّجُوعُ، والمراد: الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بعْدَ فَراغِهِ، ومعناه: أنَّهُ يُثابُ في رُجُوعِهِ بعد فَراغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

١٣٤٧ ـ وعَن السائب بن يزيد رضي الله عنه قالَ: لَمّا قدمَ النبي ﷺ مِنْ غزوَةِ تَبُوك تلقَّاهُ الناسُ، فتلقَّيْتُهُ مع الصبيان على ثنية الوداع[2]، رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ بهذا اللفظ، ورواه البخاريُّ[3] قال: ذَهَبْنَا نَتَلَقَّى رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إلى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

١٣٤٨ ـ وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ[4]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٤٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأموالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ وَأَلسِنَتِكُمْ[5]» رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب في التلقي، رقم(٢٣٩٨).
(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب استقبال الغزاة، رقم(٢٨٥٣).
(٣) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم(٢١٤٢).
(٤) رواه أبوداود: كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم(٢١٤٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم(٣٠٤٥).
(٥) رواه أحمد (٣/ ١٢٤)، وأبوداود: كتاب الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء، رقم(٢٢٨٣)، والترمذي: كتاب السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، رقم(١٥٣٨).

١٣٥٠ ـ وعَنْ أَبِي عَمرٍو ويقالُ: أبو حكيم النُّعَمَانِ بنِ مُقرِّنٍ رضي الله عنه قالَ: شَهِدتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إذا لَمْ يُقَاتِلْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وتُهب الرِّيَاحُ، وَيَنزِلُ النَّصْرُ، رواه أبوداود، والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٥١ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، واسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فإذا لَقِيتُمُوهم، فَاصبروا[(١)]» متفقٌ عليه.

١٣٥٢ ـ وعنْهُ وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قالَ: «الحَرْبُ خُدْعَةٌ[(٢)]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث هي بقية أحاديث كتاب الجهاد، وفيها الحث على الغزو، وأن الإنسان إذا لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ولم يخلف غازيًا في أهله وماله فإنه تصيبه قارعة قبل يوم القيامة، وهذه القارعة ربما تفسر بما سبق في الحديث، «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**».

وفيها: أيضًا الحث على جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان.

بالمال: أي يبذل الإنسان مالاً يساعد به المجاهدين أو يشتري به سلاحًا أو غير ذلك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، رقم(٢٨٠٥)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، رقم(٣٢٧٣).

والنفس: أن يخرج بنفسه يقاتل. واللسان أن يهجوهم بالقصائد والأشعار؛ لأن هجو المشركين يؤثر عليهم ويكون ذكرى سيئة في حقهم إلى ما شاء الله، مثلاً إلى الآن ونحن نسمع هجاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما رضي الله عنهما للمشركين.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ فضيلة الجهاد في سبيل الله وأنه من أفضل الأعمال، وقد مضت أحاديث كثيرة في هذا المعنى، وأطال المؤلف رحمه الله في نقل الأحاديث في ذلك؛ لأن باب الجهاد من أهم أبواب الدين، حتى إن النبي ﷺ قال: «ذروة سنامه -يعني أي ذروة سنام الإسلام -الجهاد في سبيل الله» لما فيه من إعلاء كلمة الله ونصر الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من المصالح العظيمة. والله الموفق.

* * *

٢٣٥ـ باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

١٣٥٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمسةٌ: المَطعُونُ وَالمَبْطُونُ، والغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ[1]» متفقٌ عليه.

١٣٥٤ ـ وعنهُ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُم؟ قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ. قالَ: «إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إذًا لَقَليلٌ!» قالُوا: فَمَنْ همْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَال: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. وَمَنْ مَاتَ فِي البَطَنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُون فَهُوَ شَهِيدٌ، والغَرِيقُ شَهيدٌ[2]» رواهُ مسلمٌ.

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب بيان جماعة من الشهداء يعني غير المقتولين في سبيل الله، والمقتول في سبيل الله هو أعلى أنواع الشهداء، أما الشهداء الآخرون فهم كما أشار إليهم المؤلف رحمه الله هم شهداء في الآخرة، في أحكام الآخرة، لا في أحكام الدينا، ويتبين ذلك بأن الشهيد

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتل، رقم(٢٦١٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، رقم(٣٥٣٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، رقم(٣٥٣٩).

المقتول في سبيل الله شهيد في الدنيا والآخرة، فهو شهيد في الدنيا إذا قتل ومات، فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن، ولا يأتيه الملكان اللذان يسألانه عن ربه وعن دينه، وعن نبيه، فلا يغسل من أجل أن يبقى أثر الدم عليه، أثر الدم الذي قتل في سبيل الله من أجله، فيأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك، لذلك قال العلماء: يحرم أن يغسل، ويحرم أن يغسل دمه، بل يبقى على ما هو عليه.

ولا يكفن وإنما يكفن في ثيابه التي قتل فيها، حتى يأتي يوم القيامة بهذه الثياب، ولا يصلى عليه؛ لأن الصلاة شفاعة، كما قال النبي ﷺ في الصلاة على الميت: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**[1]»، والمقتول في سبيل الله لا يحتاج لأن يشفع له أحد؛ لأن الشفاعة له كونه يعرض رقبته لأعداء الله إعلاءً لكلمة الله.

ولهذا علل النبي ﷺ عدم فتنته في قبره، فقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**[2]» أي كفى بها اختبارًا، وصدق رسول الله ﷺ.

فيكفن في ثيابه ليأتي بها يوم القيامة ولا يصلى عليه، ونظير هذا في بعض الوجوه الرجل إذا مات محرمًا، فإنه يغسل بماء وسدر، ولا يحنط، ولا يقرب طيبًا، ولا يغطي رأسه، ولا يكفن في ثياب غير ثياب الإحرام؛ التي

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون، رقم(١٥٧٧).
(٢) سبق تخريجه.

كانت عليه؛ لأنه يبعث يوم القيامة ملبيًا، يبعث يقول: لبيك اللهم لبيك.

أما في الآخرة، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ـ١٧١].

أما بقية الشهداء المذكورين في الحديث فهم شهداء في الآخرة، لا في الدنيا، ومع ذلك فإنهم لا يساوون الذين قتلوا في سبيل الله فهم الشهداء في الدنيا والآخرة، ولكنهم شهداء، ولكل درجات مما عملوا، المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، وهؤلاء أربعة:

الأول: المطعون: يعني من الذي مات بالطاعون، والطاعون وباء فتاك مُعْدٍ ـ نسأل الله العافية ـ إذا وقع في أرض فإنه يهلك، ولهذا قال النبي ﷺ في الطّاعون: «**إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه**[1]»؛ يعني: كيف تفر من الله عزَّ وجلَّ، وانظر إلى قوم ألوف خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال الله لهم: موتوا، فماتوا، هربوا من الموت، لكن الله تعالى أراد أن يبين لهم أنه لا مفر من الله عزَّ وجلَّ، قال الله لهم موتوا فماتوا ثم أحياهم، ليتبين أنه لا مفر من قدر الله عزَّ وجلَّ، لكن يشرع لنا أن نفعل الأسباب التي أمرنا بها، أما التي نهينا عنها فلا،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم(٥٢٨٧).

ولهذا قال: «إذا وقع وأنتم في أرض فلا تخرجوا منها فرارًا منه» هذا المطعون إذا مات بالطاعون كان شهيدًا.

الثاني: **المبطون**: والمبطون هو الذي أصابه داء البطن ويشبه - والله أعلم - ما يسمونه الآن بالغاشية، غاشية تصيب الإنسان في بطنه ثم يموت، هذه إذا مات بها الإنسان فإنه يكون شهيدًا.

الثالث: **الغريق**: الذي يغرق، إما في أمطار عظيمة، أو يقع في النهر أو في البحر أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون من الشهداء في الآخرة، ولهذا فإنَّ الإنسان مأمور أن يتعلم السباحة حتى إذا حصل مثل هذه الأشياء أمكنه أن يتوقى منه.

وأما الرابع: **من مات بهدم**: يعني رجل انهدم عليه البيت، أو الجدار، أو ما أشبه ذلك. فإنه يكون شهيدًا؛ لأن هؤلاء كلهم ماتوا بحوادث مميتة بريئة، وهل يُقاس عليهم مثلهم كالذي يموتون في حادث أو في صدم أو ما أشبه ذلك؟ الله أعلم، قد يُقاسون على هذا، ويُقال لا فرق بين أن ينهدم الجدار، أو أن تنقلب السيارة؛ لأن كل حادث مات به الإنسان، فيحكم على من مات بهذا الحادث أنه شهيد، لكننا لا نجزم به؛ لأن مسائل - الجزاء عقوبة أو مثوبة - ليس فيها قياس، فالحاصل أن هناك شهداء غير المقتولين في سبيل الله، ومن ذلك أيضًا من مات في سبيل الله، وإن لم يقتل فهو شهيد، لكنه شهيد في الآخرة، كرجل خرج مع المجاهدين، ومات في الطريق موتة طبيعية، أما في الدنيا فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه، ويدفن مع الناس،

كالشهداء الذين ذكرهم الرسول ﷺ وهم من مات بهدم، أو غرق، أو طاعون، أو بطن. والله الموفق.

* * *

١٣٥٥ ـ وعَنْ عَبْدِ الله بن عَمروٍ بن العاصِ رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهيدٌ[1]» متفقٌ عليه.

١٣٥٦ ـ وعَنْ أَبِي الأَعْوَرِ سَعِيد بن زَيْدِ بنِ عمرو بن نُفَيْلٍ، أَحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالجَنَّةِ رضي الله عنهم، قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شهيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهيدٌ[2]». رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٥٧ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قالَ: «فَلا تُعْطِهِ مَالكَ» قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَال: «قَاتِلْهُ» قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قالَ: «فَأَنْتَ شَهيدٌ» قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قال: «هُوَ فِي النَّارِ[3]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، رقم(٢٣٠٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره، رقم(٢٠٢).

(٢) رواه أحمد (١/ ١٩٠)، وأبوداود: كتاب السنة، باب في قتل اللصوص، رقم(٤١٤٢)، والترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، رقم(١٣٤١)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، رقم(٤٠٢٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره، رقم(٢٠١).

الشـــرح

هذه بقية الأحاديث في بيان ثواب الشهداء في الآخرة، منها ما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**». يعني إذا أتاك أحد يريد أخذ مالك فدافعت عنه حتى قتلت فأنت شهيد.

وفي الحديث الأخير، أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء أحد يريد أخذ مالي، قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني، قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني، قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته، قال: «**هو في النار**».

فدل ذلك على أن الإنسان يدافع عن ماله إذا جاء أحد يريد أخذ المال، فإنك تدافع، فإذا لم يندفع إلا بالقتل فاقتله، وإن اندفع بدون ذلك فلا تقتله، يعني لو أمكن أن تكون أنت أقوى منه، وتشد يديه ورجليه، وتأسره فلا تقتله؛ لأنه لا حاجة لقتله، وإذا كان لا يمكن فقاتلك فقاتله، ولو قتلته، وإن خفت أن يبادرك بالقتل فاقتله، ولا حاجة للمقاتلة، يعني لو جاء إليك يسعى يشتد ومعه سلاح قد شهره فاقتله؛ لأنك إن لم تبادره قتلك، فإذا قتلته فإنه في النار، وإن قتلك هو فأنت شهيد.

وكذلك في حديث سعيد بن زيد، «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد**». حتى لو أن أحدًا أراد أن يفتنك في دينك، أو يهتك عرضك أو ما أشبه ذلك، فقاتلته فقتلك

فأنت شهيد، وإن قتلته أنت فهو في النار.

ولهذا قال العلماء: إن دفع الصائل ولو أدى إلى قتله جائز؛ لأنه إذا صال عليك فلا حرمة له، لكن إذا اندفع بما دون القتل فلا تقتله.

نسأل الله تعالى أن يعيذنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها ما بطن.

* * *

٢٣٦- باب فضل العتق

قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٣].

١٣٥٨ - وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ[(١)]» متفقٌ عليه.

١٣٥٩ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمانُ باللهِ، والجِهَادُ في سبيل الله» قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِندَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا[(٢)]» متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - (باب فضل العتق).

العتق هو: تحرير الرقاب، يعني أن يكون هناك إنسان مملوك فيأتي شخص فيعتقه، ويحرره ابتغاء وجه الله عزَّ وجلَّ، فهذا من أفضل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١-١٧].

---

(١) رواه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى أو تحرير رقبة، رقم(٦٢٢١)، ومسلم: كتاب العتق، باب فضل العتق، رقم(٢٧٧٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، رقم(٢٣٣٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الإيمان، رقم(١١٩).

﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: يعني صعدها على مشقة، والعقبة هي الطريق المرتفع، ومعلوم أن اقتحام العقبات صعب وشاق، وكذلك إعتاق الرقاب صعب على النفوس؛ لأن فيه إخراج المملوك عن ملكه وهو شاق، وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ يشمل العتق، ويشمل فك الأسير من العدو، فإن هذا من فك الرقاب، ففي الآية دليلٌ على فضيلة العتق، ثم ذكر المؤلف ما ثبت عن النبي ﷺ أن من أعتق عبدًا، أعتق الله بكل عضو منه ـ أي من العتيق ـ عضوًا منه ـ أي من المعتق ـ من النار. يعني أنك إذا أعتقت عبدًا أعتق الله كلَّ بدنك من النار؛ لأنك أعتقت هذا العبد من الرق، فيعتقك الله تعالى من النار بفضله وإحسانه سبحانه وتعالى.

* * *

٢٣٧- باب فضل الإحسان إلى المملوك

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

١٣٦٠ - وَعَن المعور بن سُوَيْدٍ قال: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍ رضي الله عنه، وعليهِ حُلَّةٌ، وعَلَى غُلامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلتُهُ عَنْ ذلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّكَ امْرؤٌ فِيكَ جَاهلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوانُكُمْ، وَخَوَلَكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تحتَ أَيدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلبسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُم مَا يَغلِبُهُم، فإن كَلَّفتُمُوهم فَأَعِينُوهُم[1]» متفقٌ عليه.

١٣٦١ - وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إذَا أَتَى أَحَدَكُم خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجلِسْهُ مَعَهُ، فَليُناوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أو أُكلَةً أو أُكْلَتِينِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاجَهُ[2]» رواه البخاري.

«الأُكَلَةُ» بضم الهمزة: هِيَ اللُّقمَةُ.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - باب فضل الإحسان إلى المملوك، وصدر هذا بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ لآخر الآية﴾

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم(٢٩، ٩٢٩)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم(٣١٤٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب إذا أتاه خادمه بطعامه، رقم(٢٣٧٠).

اعبدوا الله: يعني أطيعوا الله، فعبادة الله هي طاعته، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وهذا هو الذي خلق العباد من أجله قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ما خلقنا الله لنأكل، ونشرب، ونلبس، ونسكن، ونتمتع، كلا وإنما هذه كلها وسائل، أما الغاية فهي العبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ فمن لم يعبد الله، أو عبد مع الله غيره، أو لم يعبد أحدًا فإنه أضاع دينه ودنياه؛ لأنه أضاع ما خلق من أجله.

وقوله: ﴿ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ عام و﴿شَيْـًٔا﴾ يعم كل مشرك به؛ لأنه نكرة في سياق النهي فيكون عامًا، لا تشرك بعبادة الله أحدًا لا الرسول، ولا جبريل، ولا وليًا من أولياء الله، ولا صديقًا، ولا شهيدًا، لا تعبد إلا الله وحده جل وعلا لا تشرك به شيئًا، فمن أشرك بالله شيئًا، فإن كان شركًا أكبر فقد قال الله في حقه: ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

مثاله: أن يذهب إلى قبر ثم يسجد له أو يدعوه يقول: يا سيدي أغثني، يا سيدي ارزقني ولدًا، ارزقني زوجة، ارزقني مالاً، فهذا شرك أكبر مخرجٌ من الملة، حتى لو صام الإنسان، وتصدق، وصلى، وقرأ القرآن، وحج البيت، وهو باقٍ على هذا الشرك فإنه لا يدخل الجنة، والجنة عليه حرام، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار؛ لأنه أشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ الآية ﴾ ولم يذكر الله حق النبي ﷺ مع أن حق الرسول أعظم

من حق الوالدين، فيجب على الإنسان أن يحب الرسول ﷺ أشد من حبه لنفسه، ومن حبه لولده، ومن حبه لوالده، وحق الرسول فوق كل حقوق الخلق، قال العلماء: لأن حق الرسول من حق الله؛ لأن عبادة الله لا يمكن أن تقبل إلا باتباع رسول الله ﷺ فحق الرسول داخل في ضمن حق الله عزَّ وجلَّ فمن لم يجرد العبادة لله إخلاصًا وللرسول اتباعًا فلا عبادة له، ولهذا لم يذكر حق الرسول ﷺ؛ لأنه داخل في حق الله.

وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ يشمل الأم والأب ﴿إِحْسَانًا﴾ يعني أحسنوا للوالدين إحسانًا، إحسانًا بالمال، فتعطيهم من مالك وتتودد إليهما، ومن الإحسان أن تطيعهما وتخدمهما؛ بالمال وبالبدن وبالجاه، فالإحسان هنا يشمل كل ما يعد إحسانًا، ويأتي ـ إن شاء الله ـ بقية الكلام على الآية وما بعدها من الأحاديث.

❊ ❊ ❊

٢٣٨ ـ باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

١٣٦٢ ـ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: إنَّ العَبْدَ إذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَينِ[١]» متفقٌ عليه.

١٣٦٣ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أَجْرَانِ» والذِي نَفسُ أبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَولاَ الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، والحجُّ، وبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مملوكٌ[٢]. متفقٌ عليه.

١٣٦٤ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْمَمْلُوكُ الذي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الذي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، والنَّصِيحةِ، والطَّاعَةِ أجرانِ[٣]» رواهُ البخاريُّ.

١٣٦٥ ـ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وآمَنَ بِمُحَمَّدٍ، والعَبْدُ المَمْلُوكُ إذا أدَّى حقَّ اللهِ، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَها، وَعَلَّمَهَا فَأَحسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ[٤]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، رقم(٢٣٦٠)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده، رقم(٣١٤٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، رقم(٢٣٦٢)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده، رقم(٣١٤٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم(٢٣٦٥).

(٤) رواه البخاري: كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، رقم(٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم(٢١٩).

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل العتق، ليبين ما جاءت به الأحاديث أن المملوك إذا قام بحق الله وحق سيده كان له الأجر مرتين، الأجر الأول لقيامه بحق الله، والثاني: لقيامه بحق سيده؛ لأن لله عليه حقًّا، كالصلوات والصيام وغيرهما من العبادات التي ليست مبنية على أمر مالي، وللسيد عليه حق وهو القيام بخدمته، وما إلى ذلك، فإذا قام بالحقين صار له أجران.

وكذلك في الحديث الأخير ذكر النبي ﷺ أن ثلاثة لهم الأجر مرتين: رجل من أهل الكتاب، اليهود والنصارى: يعني كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ثم آمن بالرسول ﷺ فهذا له الأجر مرتين، الأجر الأول: إيمانه برسوله، والثاني: إيمانه بمحمد ﷺ، وليعلم أن اليهود والنصارى إذا بلغتهم رسالة محمد ﷺ فلم يؤمنوا به حبطت أعمالهم، حتى أعمالهم التي يتدينون بها في ملتهم، حابطة غير مقبولة، لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أما الثاني: فهو العبد المملوك الذي قام بحق سيده وحق الله عزَّ وجلَّ.

أما الثالث: فرجل عنده أمة أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها، ثم أعتقها، وتزوجها، فله الأجر مرتين، المرة الأولى لإحسانه إليها وهي رقيقة مملوكة، والأجر الثاني لإحسانه إليها بعد أن أعتقها لم يضيعها، بل تزوجها وكفها وأحصن فرجها. والله الموفق.

* * *

٢٣٩- باب فضل العبادة في الهرج وهو الاختلاط والفتن ونحوها

١٣٦٦ ـ عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة معي[1]» رواه مسلم.

* * *

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، رقم(٥٢٤٢).

٢٤٠ـ باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المعسرَ والوضع عنه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].
قال الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا﴾ [هود: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ـ٦].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب فضل السماحة في البيع والشراء).

البيع والشراء أمران ضروريان لا تقوم حياة بني آدم إلا بهما غالبًا، وذلك لأن الإنسان قد يحتاج إلى شيء عند غيره، فكيف يتوصل إليه؟ إن استجداه وقال: هبه لي، أذلّ نفسه. وأن استعاره بقي في قلق، وإن أخذه غصبًا ظلمه، فكان من حكمة الله عزَّ وجلَّ أن شرع البيع والشراء، لأنني قد أحتاج دراهم فأبيع ما عندي، وأنت محتاج هذا الشيء المعين عندي فتشتريه بالدراهم، فكان البيع أمرًا ضروريًا لحاجة بني آدم.

ولكن من الناس من يبيع بالعدل، ومن الناس من يبيع بالظلم، ومن الناس من يبيع بالإحسان، فالناس ثلاثة أقسام: قسم يبيع بالعدل، لا يظلم ولا يظلم، كما قال تعالى في الذين يتعاملون بالربا: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وقسم يبيع بالجور، والظلم، كالغشاش، والكذاب، وما أشبه ذلك، وقسم يبيع بالفضل والإحسان، فيكون سمحًا في البيع وفي الشراء، إن باع لم يطلب حقه وافيًا، بل ينزل من الثمن، ويمهل في القضاء، وإن اشترى لا يهمه أن يزيد عليه الثمن ويبادر بالوفاء فيكون محسنًا.

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ على فضل السماحة في البيع والشراء بآيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥] كلمة (من خير) نكرة في سياق الشرط فتعم جميع الخيرات، من أي جهة، وهي أيضًا مؤكد عمومها بـ «من» ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني أي خير تفعلونه فإن الله به عليم، يعني لا يخفى عليه ولا يفوته عزَّ وجلَّ، وسوف يجازيكم على هذا أفضل مما عملتم؛ لأن الله يجازي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

والمراد بالآية الكريمة الحث على فعل الخير، وأن يعلم الفاعل أنه لن يضيع عليه شيء من فعله فإن الله به عليم وسيجازيه عليه عزَّ وجلَّ أفضل الجزاء، ومن الخير السماحة في البيع والشراء وقد دعا النبي ﷺ للمتسامحين في البيع والشراء، فقال: «رحم الله امرءًا سمحًا إذا باع،

سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى[(١)]». فالإنسان كلما كان أسمح في بيعه وشرائه، وتأجيره، واستئجاره، ورهنه، وارتهانه وغير ذلك فإنه أفضل، وقال الله تعالى عن شعيب أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

أوفوا المكيال: أي ما تبيعونه كيلاً.

والميزان: ما تبيعونه وزنًا، أوفوه ولا تنقصوا منه شيئًا.

وهذا دليلٌ على أن الوفاء في العقود مما جاء في الشرائع السماوية السابقة واللاحقة، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

ويل: كلمة وعيد، يتوعد الله عزَّ وجلَّ المطففين الذين هذه صفتهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون، يعني إذا كان الحق لهم، واكتالوا فإنهم يستوفون حقهم كاملاً، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون يعني إذا كان الحق عليهم، وكالوا لهم أو وزنوا لهم، يخسرون أي يبخسون الكيل والميزان.

فيظلمون من الوجهين، أو يطلبون العدل فيما يتعاملون به، ويبخسون فيما يعاملون الناس به، وهذا هو المطفف، وهذه الآية وإن

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم(١٩٣٤).

كانت قد وردت في المكيال والميزان إلا أن العامل حتى الموظف إذا كان يريد أن يعطى راتبه كاملاً لكنه يتأخر في الحضور أو يتقدم في الخروج فإنه من المطففين الذين توعدهم الله بالويل؛ لأنه لا فرق بين إنسان يكيل أو يزن للناس وبين إنسان موظف عليه أن يحضر في الساعة الفلانية ولا يخرج إلا في الساعة الفلانية ثم يتأخر في الحضور، ويتقدم في الخروج، هذا مطفف، وهذا المطفف في الوظيفة لو نقص من راتبه ريال واحد من عشرة آلاف، لقال: لماذا تنقص المكافأة؟ فهذا مطفف يدخل في هذا الوعيد ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ثم قال تعالى منكرًا عليهم ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني هل هؤلاء نسوا يوم الحساب، نسوا يوم القيامة الذي ليس هناك أقرب منه.

فالإنسان في هذه الدنيا ليس معه ضمان أن يعيش ولو لحظة واحدة، يموت الإنسان وهو يتغدى أو يتعشى، يموت وهو نائم، يموت وهو على مكتبه، يموت وهو ذاهب لحاجته، أو راجع منها، ثم يأتي اليوم العظيم ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ استعظمه الله عزَّ وجلَّ، وبيّن أنه عظيم، وقد وصف الله أهوال ومشاهد هذا اليوم في آيات كثيرةوهؤلاء المطففون سوف يتعرضون لعقوبة الله في ذلك اليوم، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يقوم الناس كلهم لرب العالمين، من في مشارق الأرض ومغاربها يبعثون على صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر؛ لأن الأرض مبسوطة غير كروية يغيب بعض الناس فيها عن بعض، بل هي

سطح واحد إذا تكلم أحد في أولهم سمعه آخرهم، وينفذهم البصر يراهم الرائي بخلاف الحال في الدنيا، الأرض منعطفة كروية لكن الأرض في الآخرة سطح واحد كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ تمد كما يمد الجلد الأديم، هذا اليوم العظيم يقوم الناس فيه لله عزَّ وجلَّ للحساب والمعاقبة، ومقدار هذا اليوم خمسون ألف سنة، والشمس من فوقهم بقدر ميل، ولا شجر يستظلون به ولا بناء، ولا شيء إلا من يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم. فهذا اليوم العظيم سيجد هؤلاء المطففون عقوبتهم، ليس هناك ولد ينفع ولا أب ولا أم ولا زوجة ولا أحد، لكل امرىء منهم يؤمئذ شأن يغنيه، فليحذر هؤلاء المطففون وليتقوا الله عزَّ وجلَّ ويؤدوا الحق كاملاً وإن زادوا فضلة فهو أفضل، ولهم أن يأخذوا حقهم كاملاً وإن تسامحوا فهو أفضل. والله الموفق.

* * *

١٣٦٧ - وعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً» ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لا نجدُ إلا أمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قالَ: «أَعْطُوهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً[1]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب في الاستقراض وأداء الديون، باب استقراض الإبل، رقم(٢٢١٥)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئًا فقضى خيرًا منه، رقم(٣٠٠٣).

١٣٦٨ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى[١]» رواهُ البخاريُّ.

١٣٦٩ ـ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّس عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ[٢]» رواهُ مسلمٌ.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل السماحة في البيع والشراء، وسبق الكلام على الآيات التي صدَّر بها المؤلف هذا الباب.

أما الأحاديث، فمنها حديث أبي هريرة أن أعرابيًا جاء يتقاضى الرسول ﷺ حقه، يتقاضاه يعني يطلب أن يقضيه النبي ﷺ حقه، وذلك أن الرسول ﷺ استقرض بكرًا ـ يعني ناقة صغيرة ـ فجاء صاحبها يطلبها، يقول: أعطني بكري، والأعراب عندهم جفاء، فأغلظ للرسول ﷺ القول، فَهَمَّ به الصحابة، يعني هموا به أن يضربوه أو يسكتوه أو ما أشبه ذلك، فقال: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً**» صلوات الله وسلامه عليه، ما ظنكم - اليوم - لو تكلم مثل هذا الأعرابي على جندي من الجنود - مثلا- ماذا يفعل به؟! يبطش به، أو على أمير من الأمراء أو على قاضٍ من

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم(١٩٣٤).
(٢) رواه مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢٣).

القضاة، أو على وزير من الوزراء، لو جاء يطلب حقه ولو بسهولة ربما يفتك به، إلا من شاء الله، أما هذا فيغلظ القول لمحمد رسول الله ﷺ ويقول: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً**».

ومن هنا نعرف أن الإنسان إذا كان عليه حق لشخص، وجاء الشخص يطلبه فلصاحب الحق أن يغلظ له القول؛ لأنه صاحب حق، والرسول ﷺ سَيُوفيه ولا شك لكن قد لا يكون عنده تلك الساعة شيء، ولهذا أمرهم بقضاء بكره، فقالوا: إنا لا نجد إلا سنًّا خيرًا من سنه، وفي رواية قالوا: لا نجد إلا رباعيًّا خيارًا، والرباعي أحسن بكثير من البكر، البكر صغير، والرباعية كبيرة تتحمل الحمل والأثقال وغير ذلك، فأمرهم النبي ﷺ أن يعطوه إياها، وقال: «**إن خيركم أحسنكم قضاء**»، أحسنكم قضاء في صفة القضاء وفي معاملة المستقضي الذي يطلب حقه.

فينبغي للإنسان أن يقتدي برسول الله ﷺ في حسن القضاء، ومعاملة المستقضي الذي يطلب حقه أي لا يعامله بالجفاء والسب والشتم، بل باللين لأن له حقًّا ومقالة، ولا في المقضي يعني يقضي أحسن مما عليه سواء كان أحسن مما عليه كيفية، أو أكثر مما يطلب. فمثلاً إذا استقرضت من شخص مائة ريال وعند الوفاء أعطيته مائة وعشرة بدون شرط، فإن هذا لا بأس به. وهو من خير القضاء، وكذلك لو استقرضت منه صاعًا من الطعام وسطًا، ليس بالطيب ولا بالرديء، فأعطيته صاعًا طيبًا فهذا أيضًا من حسن القضاء. وخير الناس أحسنهم قضاء.

وفي حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**رحم الله امرءًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى**» وكذلك سمحًا إذا قضى فقوله عليه الصلاة والسلام: «**رحم الله امرءًا، أو قال رجلاً**» هذا خبر بمعنى الدعاء، يعني يدعو له بالرحمة إذا كان سمحًا في هذه المواضع الأربعة: «**سمحًا إذا باع**» لا يشتد على المشتري ويكون سهلاً يواضعه ويضع عنه. «**سمحًا إذا قضى**»، إذا قضى غيره كان سمحًا يعطيه في وقته ولا يماطل، كذلك «**سمحًا إذا اشترى**»، وكذلك «**سمحًا إذا اقتضى**»، إذا أخذ حقه، فهذه الأحوال الأربع ينبغي للإنسان أن يكون سمحًا فيها حتى ينال دعاء رسول الله ﷺ ويأتي الكلام إن شاء الله على بقية الأحاديث.

* * *

١٣٧٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُداينُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ الله أنْ يَتَجاوَزَ عَنَّا فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ[١]» متفقٌ عليه.

١٣٧١ ـ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيءٌ، إلا أنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، وكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ[٢]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم(٣٢٢١)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢١).

١٣٧٢ ـ وَعَنْ حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ الله تَعَالَى: بِعَبدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتاهُ الله مالاً، فقالَ لَهُ: مَاذاَ عَمِلْتَ في الدُّنْيَا؟ قَالَ: ـ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا ـ قالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ تعالى: «أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي» فَقَالَ عُقْبَةُ بنُ عَامرٍ، وأبو مَسْعُودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكذا سَمِعْنَاه مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1]. رواه مسلمٌ.

الشـــرح

هذه الأحاديث الثلاثة في فضل السماحة في البيع والشراء، وفيها فضل العفو عن الناس والتجاوز عنهم.

في الحديث الأول، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس» يعني يتعامل معهم بالدَّين، والدين ليس هو المعروف عندنا، يعني أن تشتري سلعة لتبيعها وتنتفع بثمنها.

الدَّين: كل ما ثبت في الذمة فهو دين، حتى لو بعت إلى شخص سيارة بثمن غير مؤجل ولم يسلمك الثمن فالثمن في ذمته دين، ولو أنك استأجرت بيتًا وتمت المدة ولم تسلمه الأجرة فالأجرة في ذمتك دين. المهم أن المداينة ليس أن يعامل الناس نقدًا، يعني ليس يدًا بيد بل يبيع إليهم ويشتري منهم ويعفو عن المعسر «فكان يقول لغلامه: إذا رأيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا». فكان الغلام يفعل هذا. فلقي الله

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم(٢٩٢٠).

عزَّ وجلَّ فجازاه بمثل ما يجازي به الناس، يعني مثل ما يفعل هذا الرجل في الناس عامله الله عزَّ وجلَّ، فتجاوز عنه، وذلك «**لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**[(١)]» ولأن الجزاء من جنس العمل، ففي هذا الحديث حديث أبي هريرة والحديثين بعده دليلٌ على فضيلة إنظار المعسر والتجاوز عنه وإبرائه.

واعلم أن هذا لا ينقصك شيئًا من المال؛ لأن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال[(٢)]» بل هذا يجعل في مالك البركة والخير والزيادة والنماء.

وأما إنظار المعسر فإنه واجب، يجب على الإنسان إذا كان صاحبه معسرًا لا يستطيع الوفاء يجب عليه أن ينظره ولا يحل له أن يكربه أو يطالبه، لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. فهناك فرق بين الإبراء وهو إسقاط الدين عن المعسر وبين الإنظار، الإنظار واجب، والإبراء سنة، ولا شك أن الإبراء أفضل؛ لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائيًا، والإنظار تبقى الذمة مشغولة لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع أن يوفي.

وبعض الناس ـ نسأل الله العافية ـ تحل لهم الديون على أناس فقراء فيؤذونهم ويطالبونهم ويدفعون بهم إلى ولاة الأمور ويحبسونهم عن

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم(٤٨٦٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم(٤٦٨٩).

أهليهم وأولادهم وأموالهم، وهذا لا شك أنه منكر والواجب على القضاة إذا علموا أن هذا معسر لا يستطيع الوفاء، أن يقولوا للدائن ليس لك حق في مطالبته؛ لأن الله تعالى هو الحكم وهو الحاكم بين العباد وقد قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ لكن يتعلل بعض القضاة في هذه المسألة، يقولون: إن بعض المدينين يتلاعبون بالناس فيأكلون الأموال ويجحدون الإيسار، فيعاملونهم بهذا تنكيلاً بهم. نعم إذا ثبت أن هذا المدين ادعى الإعسار وليس بمعسر فإنه لا بأس أن يجبر ويحبس ويعاقب حتى يوفي فإن لم يفعل فإن الحاكم يتولى بيع ما شاء من ماله ويوفي دينه. أما الذي نعلم أنه معسر حقيقةً فإنه لا يجوز لطالبه أن يطالبه ولا أن يقول: أعطني، بل يجب أن يعرض عنه بالكلية ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ والله الموفق.

* * *

١٣٧٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ لَهُ، أظلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ[(١)]».

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٧٤ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ اشْتَرَى مِنْهُ بِعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ، فَأَرْجَحَ[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٧)، والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به، رقم(١٢٢٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، رقم(١٩٥٥)، ومسلم: =

متفقٌ عليه.

١٣٧٥ ـ وَعَنْ أَبِيْ صُفْوَانَ سُوَيْدِ بنِ قَيْسٍ رضي الله عنه قالَ: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءَنَا النَّبيُّ ﷺ فَسَاوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ، وعندي وزَّانٌ يَزِنُ بالأَجرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ[1]» رواه أبوداود، والترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذه بقية الأحاديث الواردة في فضل السماحة في البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وقد سبق أحاديث كثيرة حول هذا الموضوع، والأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وردت فيمن أنظر معسرًا أو وضع عنه، فإن الله تعالى يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. (أنظره) يعني أمهله حتى يوسع الله عليه، وهذا أمر واجب كما سبقت الإشارة إليه. فإن وضع عنه فهو أفضل وأكمل؛ لأنه إذا وضع عنه أبرأ ذمته، وأما إذا أنظره فإنما أمهله وبقيت ذمته ـ أي ذمة المطلوب ـ مشغولة لم تنفك.

ثم ذكر حديثين أيضًا فيهما ذكر الوزن والإرجاح، حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ اشترى منه فوزن وأرجح يعني أرجح الوزن لأنهم كانوا فيما سبق يتعاملون بالنقود وزنًا لا عددًا وإن كانوا يتعاملون أيضًا بها عددًا، لكن الكثير وزنًا كما جاء في الحديث: «**ليس فيما دون خمسة أوسق**

= كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، رقم(٣٠٠٠).

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٥٢)، وأبوداود: كتاب البيوع، باب في الرجحان في الوزن، رقم(٢٨٩٨)، والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في الرجحان في الوزن، رقم(١٢٢٦).

صدقة». فوزن له النبي ﷺ وأرجح يعني زاده أكثر مما يستحق، وهكذا ينبغي للإنسان عند الوفاء أن يوفي كاملاً بدون نقص وإذا زاد فهو أفضل.

والله الموفق.

* * *